

في السجن.. كانت مقالات

مجموعة مقالات وبحوث كتبت في زاوية من زوايا السجن

السيد مرتضى الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

امتحان إلهي قبل الخلقة (١)

لعلك تلاحظ أيها القاري الكريم، في مطلع زيارة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الواردة بعد زيارتك للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هذه الجملة: (يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنتك صابرة..)(٢).

ونجد المضمون نفسه في زيارتها (عليها السلام) التي تقرأ يوم الأحد (٣): (السلام عليك يا ممتحنة امتحنتك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنتك به صابرة..)(٤). ولعلك تتساءل كيف يمكن ذلك وما المقصود بذلك؟ كيف يتم الامتحان قبل الخلقة، مع أن الامتحان من الأمور الحقيقية ذات الإضافة المتقومة بالطرفين (الفاعل والقابل).

في الإجابة على ذلك نقول:

أ: ربما يكون المقصود امتحان في عالم الذر، وهو العالم الذي امتحن الله فيه البشرية، فمن آمن بالله وتحمل

١- في عصر يوم ٢٠ / ج ١٤١٧ هـ ق في الزنزانة.. ومع الأسف أفقد أي مصدر أرجع إليه للتحقيق.

٢- مصباح المتعبد: ص ٧١١، ومفاتيح الجنان: ص ٥٧١.

٣- يوم الأحد هو يوم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتلحق به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، كما إن يوم السبت هو يوم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ويوم الاثنين هو يوم الإمام الحسن (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام)، والثلاثاء هو يوم الإمام السجاد (عليه السلام)، والإمام الباقر (عليه السلام)، والإمام الصادق (عليه السلام)، والأربعاء هو يوم الكاظم (عليه السلام)، إلى الإمام الهادي (عليه السلام)، والخميس يوم الإمام العسكري (عليه السلام)، والجمعة يوم الإمام الحجة (عليه السلام)، كما ورد في رواية عن الإمام الهادي (عليه السلام)، راجع (مفاتيح الجنان): ص ٩٥، وسنتحدث عن معنى تسمية كل يوم باسم إمام في مقام آخر إن شاء الله.

٤- المزار: ص ١٧٨، باب زيارتها (عليها السلام)، وجمال الأسبوع: ص ٣٢، زيارة الزهراء (عليها السلام)، ومفاتيح الجنان: ص ١٠١.

أمانته بصدق هناك - حيث قال الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (١) - طابت طينته وسعد في دار الدنيا، والعكس بالعكس (٢)، فقد (امتحنتك الله الذي خلقك) في (٣) عالم الذر (قبل أن يخلقك) في عالم الدنيا.

ب: وربما يكون المقصود امتحانها (عليها السلام) في عالم آخر سابق على عالم الذر، كما تؤيده سلسلة من الروايات الواردة حول خلقتهم (عليهم السلام) قبل خلق العالم جملة وتفصيلاً بألفي عام أو أكثر (٤)

ج: ويحتمل أن تكون الجملة مجازية (٥)، بمعنى أنه تعالى علم نتيجة امتحانك قبل أن يخلقك، بنحو المجاز في الكلمة وهي (امتحنتك). وهذا الاحتمال أضعف الاحتمالات، لا يرجع إليه إلا عند تعذر المعنى الحقيقي، خاصة وأن الظاهر هو ضرورة ارتكاب تجويزين في الكلمة (٦).

د: ويحتمل أن يكون بنحو المجاز في الأمر العقلي تنزيلاً للمضارع المحقق الوقوع منزلة الماضي فيخبر بصيغة الماضي (٧)، ولتقريب المعنى إلى الذهن نمثل بأستاذ يعلم بنتيجة امتحانات تلامذته من قبل على ما يتوسم فيهم من ذكاء وجد أو إهمال وغباء، فيحكم بنجاح هذا وسقوط ذاك.

هـ: وهناك (٨) جواب خامس هو: إن الله سبحانه وتعالى مجرد عن الزمان والمكان، وهو محيط بهما، فما هو بالنسبة للماديات ماض وحاضر ومستقبل هو كله بالنسبة له تعالى حاضر، ومعلوم بالعلم الحضورى دون أدنى اختلاف أو قرب أو بعد، فهو تعالى

محيط بكلها، بظاهرها وباطنها ومراتبها، إحاطة علمية وجودية، وعلى هذا فيصبح إسناد الفعل الصادر منه تعالى لما هو ماض أو حاضر أو آت بوزان واحد، فتأمل.

ويمكن توضيح الأمر على حسب معادلة: (المتفرقات في وعاء الزمان مجتمعات في وعاء الدهر). وعلى ذلك يتبين لنا المعنى فـ(القبليّة) زمنية، والسابقية واللاحقية في (امتحنتك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك) بلحاظ وعاء الزمن، وتعلق هذا الامتحان السابق زمناً بالموجود اللاحق زمناً إنما هو باعتبار عالم الدهر، والله العالم.

١- سورة الأحزاب: ٧٢.

٢- حول أخبار الطينة و (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة)، انظر مشكاة الأنوار: ص ٢٦٠، الفصل الخامس في الحقائق والنجاة. وسنتحدث عن ذلك بإذنه تعالى في مقال آخر، دفعاً لشبهة الجبر.

٣- حرف الجر (في) متعلق بـ(امتحنتك).

٤- عن معاذ بن جبل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنه قال: (إن الله تعالى خلقتني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام). دلائل الإمامة: ص ٥٩.

٥- راجع كتاب (البلاغة) للإمام الشيرازي (دام ظله).

٦- المجاز في الكلمة والمجاز في الحذف، فتأمل.

٧- وعلى هذا التصرف ليس في الدال بل في المدلول، وليس في عالم الألفاظ بل في عالم الثبوت والمعاني، إذ قد نزل المضارع منزلة الماضي واستخدم لفظ الماضي في (الماضي التنزيلي) حقيقة، فالمجاز في الأمر العقلي.

٨- ليلة ٢٨/٢/١٧٤١ هـ ق، إذ راجعت هذا المبحث في هذه الليلة فخطر في بالي هذا الجواب.

خاصة (١) مع لحاظ: تجرد الروح، وإن ذلك الامتحان تعلق بها، فتدبر، وبلحاظ الخطاب لها (عليها السلام) فقد لوحظ إذن الوعاءان معاً وكان مجموع الجملة بلحاظهما وإن كان بعض المفردات بلحاظ وعاء الزمن (قبل أن يخلقك) وبعضها بلحاظ عالم الدهر (امتحنك) ولا يخفى لطفه وإن بدا غريباً.

ز: ويمكن القول بأن امتحانها (عليها السلام) السابق على خلقها إنما كان في ما عبر عنه القرآن الكريم بـ: (أم الكتاب) (٢).

ويُقرَّب هذه الإجابة إلى الذهن، ما ذكره سيد الساجدين (عليه السلام) عند وصفه النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بنهوضه بأعباء الرسالة وكونه ذريعة المؤمنين إلى رضوان الله، وأنه تحمل الإشادة بآيات الله: (والذي لم يستطع إلا موافقة علمك، وقبول الرسالة، إذ تقدم له قبول الرسالة في أم الكتاب عندك، وكيف يستطع رد ما نفذت به مشيئتك من يتقلب في قبضتك وببيدك) (٣).

فقبوله (صلى الله عليه وآله) الرسالة، كان في عالم (أم الكتاب) أو (المشيئة الإلهية).

ولا داعي لإرجاع هذا الوجه إلى الوجه الثاني أو الثالث أو الرابع أو الخامس أو السادس، فتأمل، وإن كان الأولى اعتباره جواباً خامساً، فليدقق.

ح: وهنالك جواب آخر على ما ذهب إليه بعض الفلاسفة والعرفاء من (مشككية مراتب الوجود) مشفوعاً بمبحث (بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها) فتأمل.

شبهة الجبر

ولا ينبغي توهم الجبر من قوله (عليه السلام): (والذي لم يستطع.. وكيف يستطيع..) إذ هنالك عدة أجوبة:

أ: هذه العبارة عرفية، كما تقول: (لا أستطيع أن أسكت عن المطالبة بحقي).

ب: المعادلة الكلية هي: (علم الله بأن زيداً سيعمل كذا لأنه كان سيعمل كذا) لا، (لأن الله علم أنه سيعمل كذا، فعمل كذا).

وهو ما أشار إليه الحكيم الطوسي (قده) بقوله في التجريد: (والعلم تابع، بمعنى أصالة موازنة في التطابق) فلائها (عليها السلام) (كانت صابرة) وجدها الله كذلك، ولأنه (صلى الله عليه وآله) كان قد تقدم له قبول الرسالة في (أم الكتاب) علم الله ذلك، وذلك كما يقول من يرى أعمى يسير متجهاً إلى بئر قريبة جداً، جاهلاً بوجودها: (هذا الأعمى سيقع في البئر) فلائها كان سيقع علمت، لا لأنني علمت فإنه سيقع!

وكما يقول الأستاذ الخبير بجديّة تلميذه المتفوق ونشاطه: بأنه ناجح، أو سينجح في امتحانات آخر السنة، فلائها كان سينجح - لنشاطه وذكائه - علم الأستاذ بنجاحه، لا بالعكس.

وبعبارة أجلي: إن العلم (كاشف عن الواقع) فهو كالمصباح يكشف عن الحقائق، لا إنه يصنعها.

ولا فرق في ذلك بين العلم بالماضي والعلم بالحاضر وبين العلم بالمستقبل، فعلمه تعالى بما سيصنعه الرسول

١- ليلة ٥/ رجب/ ١٧٤١ هـ ق، كتبت هذا المبحث رغم وجع الرأس والعين وضعف الإضاءة في الزنزانة.

٢- سورة آل عمران: ٧، سورة الرعد: ٣٩، سورة الزخرف: ٤.

٣- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٠.

(صلى الله عليه وآله) وبجأحه في الامتحان كاشف عن ذلك، لا أنه علة له.

ج: إن الله تعالى علم وقدر أن (يعمل الإنسان كذا باختياره وإرادته) فالإرادة والاختيار الإنساني متعلق علم وحكم الله.

وبعبارة أخرى: (علم جل وعلا أن زيداً سيختار هذا العمل أو ضده وستتعلق إرادته بسلوك هذا الطريق أو ذاك) فإذا عمل زيد هذا العمل لا باختياره وسلك ذلك الطريق لا بإرادة منه كان علم الله جهلاً مركباً لا العكس فدقق جيداً (١).

وفيما نحن فيه: علم الله تعالى أنه (صلى الله عليه وآله) سينهض بأعباء الرسالة باختياره وإرادته، ويدل عليه قوله (عليه السلام): (إذ تقدم له قبولها في أم الكتاب عندك) (٢) فقد (قبلها) سابقاً، لا أنه أجبر على قبولها.

وقوله (عليه السلام): (وكيف يستطيع رد ما نفذت به مشيتك) (٣) لا يقتضي الجبر، إذ المشيئة الإلهية تعلقت بـ(أن يكون الإنسان مختاراً في قراراته، متحرراً عن إرادة وقصد في أعماله) وقد نفذت مشيئة الله فيه (صلى الله عليه وآله) أن يختار بملء إرادته تحمل أعباء الرسالة.

والذي يشهد لذلك أيضاً ما سيذكره (عليه السلام) - بعد حوالي صفحتين - إذ يقول (عليه السلام): .. فارفعه - أي النبي صلى الله عليه وآله - بسلامنا إلى حيث قدرت في سابق علمك، أن تبلغه إياه بصلاتنا عليه) (٤)، إذن علم وقدر تعالى أن يبلغ ويوصل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مراتب من المثوبة بسبب صلاتنا عليه، وما أوضح ذلك!!

وعبارة (لم يستطع) مع قطع النظر عن الإجابة السابقة - من كونها عرفية وأن ظواهر الألفاظ يرفع اليد عنها عند تعارضها مع قاطع البرهان العقلي - فيها إلفات رانع إلى ما يعبر عنه علماء النفس والاجتماع بـ(طبيعة السلوك الفردي)، أو (طبيعة المجتمع القروي والحضري مثلاً) فإن التركيبة النفسية والثقافية والتربوية لهذا الفرد أو هذا المجتمع، تسير به طبيعياً لانتهاج هذا المسلك أو ما يضاده.

فـ(البرجوازي) يتحرك طبيعياً للحفاظ على ثروته، ولاحتكار السوق وإعطاء الرشوة، لا أنه مجبور على ذلك. و (الحاكم) ينطلق بطبيعته نحو مزيد من (المركزية والاستبداد والاستئثار والطغيان) فـ(من ملك استأثر) (٥)، و

١- وجهه أن (الامتحان) متقوم بالطرفين: الفاعل والقابل، فلا يكفي تجرد الفاعل فقط في صحة إسناد الفعل المتقدم به وبقابل غير مجرد، فتأمل.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٠.

٣- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة آل عمران: ٧، وقال سبحانه وتعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) سورة الرعد: ٣٩. وقال عز وجل: (وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ) سورة الزخرف: ٤.

٤- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٠.

٥- مجموعة ورام: ج ٢ ص ١٧٠، تحف العقول ص ٨ ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله). غرر الحكم

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى) (١) لا أنه مُلْجاً لذلك.

ومن شاهد عظمة الباري جل وعلا وعلم علم اليقين بل عين اليقين بعلمه وقدرته وإحاطته وجلاله وجماله، ومن تخطى الحواجز السابقة كلها بنجاح فائق، ومن نجح في (الامتحانات المصيرية السابقة) لا يمكن إلا وأن ينجح في الامتحان الأخير أيضاً!.

وهذا ما أشار له الإمام سيد الساجدين (عليه السلام) إذ يقول: (والذي لم يستطع إلا موافقة علمك، وقبول الرسالة)، ولكن لماذا؟ لأنه مجبور؟ كلا بل (إذ تقدم له قبولها في أم الكتاب عندك) (٢).

رؤيا في مدينة الإمام الرضا (عليه السلام) (٣)

في مدينة مشهد المقدسة، حوالي منتصف الليل، ليلة التاسع والعشرين (أو ليلة الثلاثين من شهر صفر)، ربما قبل حوالي عشر سنوات (من تاريخ كتابة هذه السطور)، شاهدت رؤيا لا يمكن أن تنسى، فقد رأيتني خارجاً من صحن الإمام الرضا (عليه السلام) راجعاً إلى مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) (٤) وإذا بي أرى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ممسكاً بيده اليمنى يد ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي تبدو ضعيفة، كما البنت في سن السابعة أو الثامنة كما خيل لي في المنام - وهي (عليها السلام) ممسكة بيد الإمام الحسن (عليه السلام) وخيل لي أنه في الرابعة أو الخامسة من العمر، والإمام الحسن (عليه السلام) ممسك بيد أخيه سيد الشهداء الحسين (عليه السلام).

كنت خارجاً من الصحن وكان هو (صلى الله عليه وآله) متوجهاً يريد الدخول وكان الفاصل بيني وبينه (صلى الله عليه وآله) عدة أمتار لحظة رويتي إياه، فأفهمني (صلى الله عليه وآله) - ربما عبر توارد الخواطر أو الإلهام لا عبر حوار شفوي - أنه (صلى الله عليه وآله) يريد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) لدقائق وأنه يريد مني أن أتسلم السيدة الزهراء وابنيها (عليهم السلام) ريثما يرجع، ثم وضع يد السيدة (عليها السلام) بيدي..

وقمت عندها من المنام..

وما أشد الفرحة التي امتلكتني برؤية أربعة من المعصومين (عليهم السلام) دفعة واحدة، وبأنني كنت محط انتمانه (صلى الله عليه وآله).

بعدها بدأت أحس بمدى ثقل وصعوبة هذه المسؤولية الخطيرة..

وعندما ذكرت الرؤيا لأحد العلماء قال: ما مضمونه إن مصير بعض الشيعة في العالم سيرتبط بك..

وعندما أجلت الفكر عرفت أن الرؤيا ترمز إلى مراحل حياتي المستقبلية، وأنني سأمر وسأقوم بإذنه تعالى

ودرر الكلم: ص ٣٤٦ الفصل السابع آفات الحكومة ح ٧٩٨٧.

١- سورة العلق: ٧ و ٦.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٠.

٣- ليلة ٢١/٢ ج ١٧/٢ هـ ق.

٤- تأسست هذه المدرسة بأمر سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

بأدوار ثلاثة متتالية، متأسياً بالسيدة الزهراء (عليها السلام) ثم الإمام الحسن (عليه السلام) ثم الإمام الحسين (عليه السلام) وأنا واثق من أن مصيري آخر الأمر الشهادة في طريق الإمام الحسين (عليه السلام) كما ترمز إليه الرؤيا أيضاً، والله الحمد..

والذي خطر ببالي في سرد هذا اللطف وهذه المكرمة، هو أنني خرجت يوم (٢٨ صفر) - وهو يوم الرؤيا أو اليوم السابق عليه - خرجت حوالي الثامنة صباحاً من مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) متوجهاً إلى حرم الإمام (عليه السلام) بمناسبة شهادته، فرأيت الشوارع مزدحمة بعشرات بل مئات المواكب المنطلقة من شتى أنحاء مدينة مشهد المقدسة، والقادمة من شتى المدن، ومتوجهة إلى حرم الإمام (عليه السلام) فقررت أن أشارك - وأنا في مسيرتي للحرم - كل موكب في رذاته وفي اللطم للحظات أو دقائق، علّ رحمة من الألفاظ الإلهية تشملني ببركة إحدى تلك المواكب..

وهكذا صنعت..

ووصلت الحرم الشريف قرب الظهر.. وكنت أحس عند دخولي في بعض المواكب بحالة روحانية متميزة، وكانت تمتلكني العبرة، وربما حدثت لي لحظات من الانقطاع لله..

وكانت تلك الرؤيا وما تحتويه من مضمون لطفاً جلياً من أطفاف الإمام الرضا (عليه السلام)، وأنا ابتهل إلى الله تعالى أن يوفقني لحفظ الأمانة (١) وأن أكون بعناية أهل البيت (عليهم السلام) - وله المن والفضل - ممن عمل بقوله تعالى: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (٢) وقد قال تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٣) وقد (دعوتك كما أمرتني فاستجب لي كما وعدتني) (٤).

رؤيا قبل سبع سنوات (٥)

وجدتني واقفاً على باب غرفتنا المجاورة لحجرة الاستقبال الخاصة بالوالد (٦) في المكتب بهيئة المتحفز

١- التي استلمتها منه (عليه السلام).

٢- سورة الأحزاب: ٢٣.

٣- سورة غافر: ٦٠.

٤- إشارة إلى قوله (عليه السلام): (اللهم إني أدعوك كما أمرتني فاستجب لي كما وعدتني). راجع الإقبال: ص ١٠٠، دعاء آخر في كل منه و (مصباح الكفعمي): ص ٦٢٥، ودعاء السحر لعلي بن الحسين (عليه السلام) من الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم (١١٦).

٥- عصر ٢١/٢/١٤١٧ هـ ق.

٦- آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (دامت بركاتة).

لتلبية الأوامر.. وكانت الغرفة غاصة بالجالسين، وفي صدر المجلس كانت السيدة الزهراء (سلام الله عليها)، إلى جوار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وإن لم أتبين ملامحه جيداً، وهي تبكي بصوت عال جداً، غطى على بكاء الحاضرين جميعاً..

نظرت عندها إلى غرفة المكتب الكبيرة، المقابلة للحجرتين، فاخترقت عيناى الجدار لأجد الغاصبين لخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)، بهينة شيخين بلحية طويلة! منهمكين في نسج خيوط مؤامرة ولم يكن في المكتب إلا شخص آخر أو شخصين لم أتبين ملامحهما، وقد بان لي، وأنا أنظر إليهما، أن بكاء السيدة الزهراء (عليها السلام) بذلك الصوت المرتفع، إنما هو لفضحهما وإفشال مؤامرتهم.. هذه الرؤيا شاهدها ربما قبل حوالي سبع سنوات (من تاريخ كتابه هذه السطور).

مكاشفة في السجن (١)

التزمت بفضلته تعالى - وأنا في السجن ولأشهر طويلة - بقراءة دعاء فريد رانع، ضمته دفناً كتاب (الباقيات الصالحات في الأدعية والصلوات المندوبات) المطبوع بهامش (مفاتيح الجنان) لنفس المؤلف القدير (٢) وهو: (اللهم إن إبليس عبدٌ من عبيدك يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، وأنت أقوى على أمره كله، وهو لا يقوى على شيء من أمرك، اللهم فأنا أستعين بك عليه، فإني لا طاقة لي به، ولا حول ولا قوة لي عليه إلا بك يا رب، اللهم إن أرادني فأرده، وإن كادني فكده، واكفني شره، واجعل كيده في نحره، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين).

حتى كان ذات يوم - وقت السحر على ما أتذكر - حيث شاهدت إبليس بصورة (وزغة؟ ويعرف باللهجة الدارجة العراقية بـ(أبو ابريص) وهو يبتعد عني هارباً بسرعة كبيرة، ولقد أثار استغرابي الشديد، وأنا انظر إليه.. تشكله بشكل تلك الدويبة الضعيفة وفراره، وقد خطر ببالي لحظتها إن ما كنت أتصوره عن إبليس هو صورة مرعبة مخيفة لمخلوق قوي ماطر مسيطر فكيف بي أجده بصورة حيوان ضعيف لا حول له ولا قوة؟. وعند ما غاب عن ناظري ذلك المشهد الذي لم يستمر أكثر من ثانية واحدة حسب الظاهر، تذكرت قراءتي لذلك الدعاء (اللهم إن إبليس..) وأني قد عدت بالله منه ولجأت إليه واستعنت به، فليس عجباً بعد ذلك أن يرى إبليس بتلك الصورة وبذلك الضعف والجب..

رؤيا في السجن (٣)

ذات ليلة - وبعد انقضاء أشهر من اعتقالى - شاهدت نفسي أسير في أزقة ضيقة متعرجة حتى وصلت إلى موقف سيارات، فطلبت من أحدهم إيصالى إلى حرم السيدة رقية (عليها السلام) تحركت بنا السيارة ولا أتذكر

١- كتبت ٢٨/٢/١٧٤١ هـ ق.

٢- المحدث (الشيخ عباس القمي) (رحمه الله). راجع المجتنى من المجتبى لابن طائوس ص ١٩.

٣- كتبت ليلة ٦/رجب/١٧٤١ هـ ق، الساعة ١٢ إلا ربع مساء.

بأقي الرؤيا..

بعدها وبأسابيع، بل بأشهر ظاهراً، شاهدت نفسي - في الرؤيا - مرة أخرى أسير في طرق ضيقة متعرجة - تشبه تلك التي شاهدتها من قبل - وقد سقطت على الأرض بعض الثمار، فكنت التقط بعض الناضج منها، ودامت المسيرة طويلاً وعلى ما ببالي من الصباح إلى العصر، وكنت في طريق أجهلها إلا أنني مضيت في سيري حتى وصلت إلى المقصد النهائي وكان المقصد هو دار الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) وصلتها عصراً، قرب الغروب حسب الظاهر، فقل لي: وصلت متأخراً فلا يمكنك دخول الدار حالياً..

عندها بكيت بصوت عال، قائلاً: إنني قطعت هذه الطرق الطويلة لأجل الوصول إلى الدار فلم أحرم؟ وأصررت.. فسمح لي، وإذا بالباب تفتح، وكان على يسار الباب السيد إبراهيم القزويني (١)، وعلى يمينها ربما السيد مصطفى (أخوه)، وكأتهما بوابا دار الإمام الحجة (عليه السلام) عندما فتحت الباب شاهدت داخل الدار وإذا بمجلسه (عجل الله فرجه الشريف) يقع في سرداب كبير، وكان بالمجلس شخصان أو ثلاثة أحدهم المرحوم الشيخ محمد تقي تاج الدين (رحمة الله عليه) (٢).

بسم الله الملك القدوس

لم أكن أعرف (٣)

لم أكن أعرف قدر الجوع، حتى ذقته..

لم أكن أعرف طعم السجن، حتى عانيت..

لم أكن أعرف طعم الغربة، حتى عايشتها..

لم أكن أقدر عظمة الوالدين، حتى غابا عن ناظري..

لم أكن أقدر جلال الأستاذ، حتى غاب عن عيني..

لم أكن أدرك نكهة المحبة، حتى عدمتها..

لم أكن أقدر جمال الطبيعة، حتى حرمت منها..

لم أكن أدرك صعوبة الانتظار، حتى مارسته..

لم أكن أدرك كل ذلك، حتى سجن في زنزانة ضيقة.

١- مؤلف قدير وخطيب جليل، ابن آية الله السيد كاظم القزويني (رحمه الله) صاحب موسوعة (من المهد إلى الحد) وصاحب (موسوعة الإمام الصادق (عليه السلام)).

٢- انتهت الكتابة حتى هنا، والساعة الآن ١٢ إلا خمس دقائق.

٣- عصر ٢١/٢/١٤١٧ هـ ق.

في مسجد جمكران (١)

في السنين الأولى من تواجدي في قم المقدسة، قرض الله لي صديقاً صدوقاً رغبني في الذهاب ليالي الجمعة إلى مسجد جمكران (٢)، وهكذا فتحت عيني على المسجد برفقته، وذهبت أسابيع وأسابيع.. ثم انقطعت عن الذهاب فترة من الزمن، وما لبثت بعدها أن عاودت زيارة المسجد مقررراً أن استمر (٤٠) أسبوعاً، علني أشرف بنظرة أو أكثر لأمل البشرية، للسبب المتصل بين السماء والأرض (٣). وهكذا واصلت الزيارة ربما لثلاثين أسبوعاً تخللتها فترة الشتاء ببرد قم القارص وبتلوجها الكثيفة ذلك العام، ولم يمنعني ذلك البرد القاسي - رغم حساسيتي المفرطة تجاه البرد - ولا الوحشة التي كانت تعتريني أحياناً في الطريق إلى المسجد وذلك في بعض الليالي التي كان يندر فيها زوار المسجد في ذلك الحين. لم يمنعني ذلك من الإصرار على الاستمرار، وعندما كانت حالة من التثاقل تعتريني، كان الأمل بذلك اللقاء - الأمنية - يمنحني عزماً ومضاء.

وفي آخر أسبوع - الأسبوع الثلاثين ربما - وبعد صلاة الزيارة، وفي السجود الذي يستحب فيه أن تصلّي على النبي وآله (عليهم السلام) مائة مرة، وللحظات.. أحسست بحالة روحانية لا توصف.. ولكن هل يترك إبليس الإنسان على سجيته وهو الذي أقسم بـ (لَا تَيَبُّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) (٤)؟ ويا للأسف فقد تسلل الشيطان عبر بوابة العجب، فخطر في بالي - وأنا في ذلك السجود، يا لها من حالة نادرة! -: وهل أن فلاناً (ذلك الصديق الصدوق، على ما أتذكر) أدرك مثل هذه الحالة؟ أنهيت سجودي ممتعضاً.. هاهي بوابة الرحمة كادت تفتح أمامي، وما أغلاها من أمنية، وهاهو الشيطان يرميني بشبأكه ويصطادني بحباله..

وعندها لم أر مفراً لي من أحبولة (العجب) سوى أن أترك الذهاب إلى مسجد جمكران حتى حين.. هل كنت مخطئاً في ذلك القرار؟..

لست أدري.

الصلاة تملأ أرجاء الكون (٥)

يقول الإمام زين العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام): (اللهم صل على محمد وآله إذا ذكر الأبرار وصلي على محمد وآله ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ولا يحصى عددها صلاة تشحن الهواء وتملأ

١- ليلة ٢٢/٢ج/١٤١٧هـ.ق.

٢- مسجد مقدس بني بأمر الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) وهو قريب من قم المقدسة. يستحب فيه قراءة صلاة التحية وصلاة صاحب الزمان (عليه السلام).

٣- إشارة لما ورد في دعاء الندبة، وفيه: (أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء).

٤- سورة الأعراف: ١٧.

٥- ليلة ٢٢/٢ج/١٤١٧هـ.ق.

الأرض والسماء)(١).

فالصلاة - إذن - ليست ذكراً عابراً يفنى ولا يبقى منه إلا الأجر الأخروي، بل هو حقيقة عينية خارجية (تشحن الهواء، وتملأ الأرض والسماء) كما في الأمواج الصوتية، والأمواج المغناطيسية، والكهرومغناطيسية، والنور، والفوتونات، وغيرها.

وربما بمراتب أسمى وأرقى مما لا ندركه بمشاعرنا وعلومنا المتداولة..

وفي الدعاء أيضاً إشارة رائعة لما ثبت علمياً من الهواء (يشحن) ويحمل أشياء وأشياء(٢)!!

ويقول (عليه السلام): (يا خازن الليل في الهواء وخازن النور في السماء)(٣).

فإن النور يقطع الفضاء بحركته المذهلة(٤) ونور الشمس يصلنا بعد شروقها بـ ٨ دقائق (فإن الفاصل بين الأرض والشمس حوالي ١٥٠ مليون كيلو متراً) فهو (مخزون في السماء).

والسماء كما هو معروف، من العلو والسمو، ولكن ماذا تعني (خازن الليل في الهواء)؟ خاصة إذا علمنا أن النور هو عبارة عن (فوتونات) مطيتها الفضاء!.

مما لا شك فيه أن الليل والظلام(٥) - حسب الآيات والروايات - حقيقة عينية و (أمر موجود) لا أنه (عدم الضياء أو النهار) قال تعالى: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)(٦). والأمر العدمي لا يلج ولا يولج فيه.

وقال سبحانه: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا)(٧) والعدم لا يغشى ولا يطلب، والمجاز خلاف الأصل.

ويقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (اللهم إني أسألك يا خالق الظلمات والنور)(٨) والعدم والعدمي ليس بمخلوق.

ويقول سيد الساجدين (عليه السلام): (سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور) إذن للظلمة وزن أيضاً، بل يضيف (عليه السلام): (سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء)(٩)، فالظل له وزن أيضاً.

وما أكثر الآيات والروايات الدالة على ذلك، وهذا ما يفسر إمكانية مخزونية الليل في وعاء ما، ولكن ماذا تعني مخزونية الليل في(١٠) الهواء؟.

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء: ٨٨.

٢- فإن الهواء يحمل الأمواج الصوتية وغيرها.

٣- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء: رقم ١٣٨.

٤- في الثانية حوالي (٣٠٠ ألف كيلو متر).

٥- يبدو أن الظلام أمر آخر غير الليل، وهو لازمه الأعم.

٦- سورة آل عمران: ٢٧.

٧- سورة الأعراف: ٥٤.

٨- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء: رقم ١٢٨.

٩- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء: رقم ٤.

١٠- يحتمل أن يكون إشارة ظريفة إلى (الحفر السوداء) في الفضاء، والتي تنعدم فيها الحركة ويتجمد فيها الزمن نسبياً أو بشكل مطلق، كما توصلت إليه أحدث النظريات العلمية.

وما المراد بالهواء؟.

الأمر بحاجة إلى تحقيق، وكذلك هل ما ذكر في بيان مخزونية النور في الفضاء كاف، وهل يفسر المعنى الدقيق لكلمة (خزن)؟.

ثم يحتمل أن تكون كلمة (صلاة تشحن الهواء) مشيرة إلى معادلة الطاقة والمادة، وتحول الطاقة إلى المادة، وإلى مبحث تجسم الأعمال.

سباق الجمادات إلى إطاعة الباري! (١)

ومن دعائه (عليه السلام) إذا نظر إلى السحاب والبرق وسمع صوت الرعد:

(اللهم إن هذين آيتان من آياتك، وهذين عونان من أعوانك، يبتدران طاعتك، برحمة نافعة أو نقمة ضارة، فلا تمطرنا بها مطر السوء، ولا تلبسنا بها لباس البلاء..)(٢).

ولكي نعرف الأبعاد الهامة التي يشير إليها هذا المقطع من كلامه (صلوات الله عليه) نشير إلى أن هنالك حقائق متسلسلة:

أ: ليس الإنسان فقط هو الذي يدرك ويفهم، بل الحيوانات والجمادات أيضاً تدرك وتفهم قال تعالى: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ)(٣).

وقال سبحانه: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)(٤).

وقال الله عز وجل: (أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي..)(٥).

ب - إن درجة إدراك الحيوانات والجمادات في بعض المواطن أعلى وأتم من درجة إدراك الإنسان: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(٦).

ويقول أمير المؤمنين ومولى الموحدين (عليه السلام): (ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)(٧).

والعلم الحديث أثبت أن الكثير من الحيوانات يدرك وقوع الزلازل أو غيرها من تقلبات الطبيعة بما لا يجاريه الإنسان حتى مع امتلاكه الأجهزة فوق المتطورة!.

١- ليلة ٢٣/٢ج ١٤١٧ هـ ق.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء: رقم ٩٧.

٣- سورة النمل: ١٨.

٤- سورة النمل: ٢٢ و ٢٣.

٥- سورة النحل: ٦٨.

٦- سورة الأحزاب: ٧٢.

٧- نهج البلاغة: الكلام رقم ١٩٩.

ج - إن الحيوانات والجمادات (تستجيب) و (تتقيد) بامتثال الأوامر الإلهية وتدور ضمن الإطار الذي رسمه البارئ جل وعلا لها: (وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) (١) و (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) (٢).

وقد ورد في الدعاء عند رؤية القمر ما مضمونه: (السلام عليك أيها الخلق المنير الدائب السريع المطيع لله ولرسوله) (٣).

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمته، وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها، وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة، وقذحت له من قضبانها النيران المضئنة، وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة) (٤).

د: واستجابتها تلك (طوعية) وليست (جبرية)! (فقال لها وَلِلْأَرْضِ إِنِّيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (٥).

هـ: إن الجمادات وشبهها تتحرك - عن شعور وقصد - لتحقيق الأهداف الربانية وإحراز رضى الخالق!

و: بل إنها تتسابق لإحراز رضاه جل وعلا!

وتستفاد هاتان النقطتان الأخيرتان عن كلام الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه هذا، حيث يقول: (وهذين عونان من أعوانك يبتدران (٦) طاعتك برحمة نافعة أو نقمة ضارة..)!

ونحن في غنى بعد ظهور هذا المقطع عن الرجوع إلى أصالة القصد في الأفعال وشبهها.

وكان الإمام السجاد (عليه السلام) إذا نظر للهِلال يقول: (أيها الخلق المطيع، الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نور بك الظلم وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات حكمه وعلامة من علامات سلطانه، وامتهنك بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع وإلى إرادته سريع) (٧).

وفي هذا تصريح لا لبس فيه (٨).

ويمكننا الاستفادة من كلامه (عليه السلام): إضافة نقطتين أخريين يجدر بنا أن نضعها بين النقطة الثانية والثالثة وهي: ليست الجمادات (مدركة) فحسب، بل إنها تنتقل إلى مرحلة (الشهادة) أيضاً، حيث يقول سيد الساجدين (عليه السلام): (وهذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد عتيد) (٩) وتتميز بمرحلة (الحكم والقضاء)

١- سورة النور: ٤١.

٢- سورة الأنبياء: ٦٩.

٣- راجع الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء ١١٠.

٤- نهج البلاغة الخطبة ١٣٣.

٥- سورة فصلت: ١١.

٦- أي: (يتسابقان إلى).

٧- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١١٠.

٨- استغرقت كتابته والتفكير فيه أربعين دقيقة تقريباً.

٩- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٢١.

أيضاً (إن أحسنا ودعنا بحمد، وإن أسأنا فارقنا بدم)(١). وإلى ذلك أشارت الآيات القرآنية الكريمة من قبل، قال تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(٢). وقال سبحانه: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٣). وفي الحديث: (أنا يوم جديد وأنا غدا عليك شهيد فقل في خيرا واعمل في خيرا)(٤). ومن المقطع الأخير (فقل..) نستفيد أن الجمادات وشبهها(٥) تتميز بمرحلة (الدعوة) إلى الله وإلى العمل الصالح أيضاً! ولكن ما أثر هذه الدعوة وما هي نتائجها وهل لها أثر وضعي تكويني في الروح والإرادة والنفس البشرية؟.

وقال (عليه السلام): (اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيدا وأشهد سماءك وأرضك ومن أسكنتهما من ملائكتك..)(٦).

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمانركم عيونه وخلواتكم عيانه)(٧).

حز الإمام الجواد (عليه السلام)(٨)

يذكر لنا التاريخ(٩) إن الإمام الجواد (عليه السلام) قال للمأمون العباسي(١٠): (عقد تحصن به نفسك وتحزز به من الشرور والبلايا والمكاره والآفات والعاهات كما أنقذني الله منك البارحة ولو لقيت به جيوش

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٢١.

٢- سورة يس: ٦٥.

٣- سورة النور: ٢٤.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٠٨، المجلس الثالث والعشرون، وروضة الواعظين: ص ٣٩٣ مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.

٥- الزمان كم متصل غير قار وهو على بعض الأقوال: مقدار الحركة وعلى بعضها أمر انتزاعي، وليس كما من الأعراض.

٦- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء ٢١.

٧- نهج البلاغة: الكلام ١٩٩.

٨- هذا المبحث يلقي الضوء على جانب من نوعية العلاقة بين الإمام المعصوم (عليه السلام) وحكام ذلك العصر وعلى فلسفة ذلك، ليلة ٢٣/٢/١٧٤١ هـ ق.

٩- أنظر السيد بن طاووس في (مهج الدعوات: ص ٣٨)، عن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام) نقلا عن كتاب (رياحين الشريعة) للشيخ ذبيح الله المحلاتي في حالات السيدة حكيمة (عليها السلام).

١٠- المأمون العباسي (٧٨٦ - ٨٣٣م): سابع الخلفاء العباسيين (٨١٣ - ٨٣٣م) ابن هارون العباسي، رقى عرش الملك بعد أن هزم أخاه الأمين واستولى على بغداد عام ٨١٣ للميلاد.

الروم والترك واجتمع عليك وعلى غلبتك أهل الأرض جميعاً ما تهيأ لهم منك شيء بإذن الله الجبار(١). وعندما أبدى المأمون رغبته في ذلك، وعده الإمام (عليه السلام) بأن يقوم هو بنفسه بإعداد ذلك الحرز له، وفي صبيحة اليوم القادم طلب الإمام (عليه السلام) جلد غزال تهامه وكتب عليه الحرز المعروف بـ(حرز الإمام الجواد (عليه السلام)) ثم أمر بأن يضعه المأمون في وعاء من الفضة يكتب عليه بعض الأدعية، ثم يشده على عضده بعد أن يتوضأ ويصلي أربع ركعات، ويقرأ في كل ركعة بعد الحمد (آية الكرسي)(٢) وآية (شهد الله)(٣) وسورة الشمس(٤) وسورة الليل(٥) وسورة التوحيد(٦) كلاً منها سبع مرات..

ويضيف لنا التاريخ: إن المأمون عمل بوصية الإمام (عليه السلام) واصطحب معه الحرز في معركته مع الروم فانتصر عليهم، وكذلك في غزوات ومعارك أخرى رجع منها بأجمعها ظافراً. هذه هي عصارة ذلك الحدث..

والسؤال الذي قد يشغل ذهن القارئ هو: كيف يقوم الإمام (عليه السلام) بإعداد حرز واق لواحد من أشهر طغاة الأرض؟

وفي الإجابة سندرس - بإذنه تعالى - هذه القضية من الناحية الشخصية، ومن الناحية السياسية، والاجتماعية والعقلية:

١- فمن الناحية الشخصية: نلاحظ أن إحدى أهم مهام الرسل والأوصياء (عليه السلام) (إتمام الحجة) كما قال تعالى: (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)(٧).

وقال سبحانه: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)(٨).

وقال عز وجل: (لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(٩).

ولقد كانت هذه القضية (الحرز - المعجزة) إحدى أكبر الحجج الإلهية، عبر المعصوم - إمام الزمان - على أكبر طاغوت في ذلك العصر..

فمن هو وريث الرسول (صلى الله عليه وآله)؟.

ومن هو الأعلم؟

بل من هو العالم؟

١- مهج الدعوات: ص ٣٨.

٢- سورة البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٧.

٣- (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). سورة آل عمران: ١٨.

٤- سورة الشمس: مكية ورقمها ٩١ وعدد آياتها ١٥.

٥- سورة الليل: مكية ورقمها ٩٢ وعدد آياتها ٢١.

٦- سورة الإخلاص: مكية رقمها ١١٢ وعدد آياتها ٤.

٧- سورة الأنعام: ١٤٩.

٨- سورة الإسراء: ١٥.

٩- سورة النساء: ١٦٥.

ومن ثم من الأجدر ومن الأولى بالخلافة؟

وفي اصطحاب المأمون هذا الحرز معه في مختلف غزواته وحروبته، بل على مر الليالي والأيام مع ما كان يجده من واضح البراهين المؤكدة لصدق كلام الإمام (عليه السلام) ومدى تأثير حرزه الإعجازي، في كل ذلك حجة بالغة ودائمة لا يمكن معها للمأمون أن يغالط معها وجدانه أو ضميره، وفي ذلك أيضاً حجة بالغة على كل الأجيال على مر الأزمان لتعرف من هو الذي انتقلت إليه مواريث الأنبياء (عليهم السلام).

وهذا مما يقودنا إلى تسليط الأضواء على نقطة هامة جداً كانت هي السبب في ما كان يطفح كثيراً على ألسنة الخلفاء الأمويين والعباسيين ومن قبلهم الخلفاء الثلاثة، حيث كان (وخز الضمير) و (تيقظ الوجدان المندثر تحت إضمار الشهوات) إثر تجل لحجة بالغة من أحد الأئمة (عليهم السلام) هو من أهم الأسباب في تصريحات كثيرة صدرت من أبي بكر وعمر ومعاوية الخ.. كقوله (ليتني كنت بكرة..) وقول عمر: (لولا علي (عليه السلام) لهلك عمر) (١) وتصريحات معاوية العديدة حول عظمة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومكانته (٢).

والمأمون العباسي نفسه نجده يشير في مواطن كثيرة إلى أولوية الإمام (عليه السلام) منه تصريحاً أو تلويحاً، منها الحديث السابق بيوم على هذه الحادثة حيث هاجم المأمون بنفسه دار الإمام (عليه السلام): (وهو زوج ابنة المأمون المكناة بأم عيسى) أثر شكاية ابنته منه (عليه السلام) شاهراً سيفه وانهال بسيفه على الإمام وهو في فراشه حتى قطعه قطعة قطعة، ثم وجده (عليه السلام) في اليوم الثاني سالماً ليس به حتى أثر خدشه! فبكى المأمون عند ذلك بكاء شديداً وقال ما مضمونه: مع هذه الآية والمعجزة لا يبقى أي عذر، وهي عبرة للأولين والآخرين.

وربما تكون معادلة (إتمام الحجة) و (الحجة البالغة) هي السبب أو من أهم الأسباب في تعليم موسى (عليه السلام) ابن خالته (قارون) علم الكيمياء (٣) الذي به حصل قارون على تلك الثروة الهائلة التي قال عنها تعالى:

١- الاختصاص: ص ١٤٩، ودعانم الإسلام ج ١ ص ٨٦، ونهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٨ وص ١٤١ وج ١٢ ص ١٧٩.

٢- فمثلاً أخرج الكلاباذي: (إن رجلاً سال معاوية عن مسألة، فقال: سل علياً هو أعلم مني، فقال أريد جوابك، قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغره بالعلم غراً وقد كان أكابر الصحابة يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: ها هنا علي، فقال: أريد أن أسمع منك قال: قم لا أقام الله رجلك ومحا اسمه من الديوان). أنظر (فيض القدير): ج ٣ ص ٤٦، وراجع أيضاً (فضائل الخمسة من الصحاح الستة): ج ٢ ص ٣٠٧ المقصد الثاني من فضائل علي (عليه السلام) باب في رجوع معاوية إلى علي (عليه السلام).

٣- علم تركيب المادة والتغيرات التي تطرأ عليها. أن علم الكيمياء والفيزياء كثيراً ما يتشابكان أو يتداخلان فينبغي أن يعلم أن موضوع الكيمياء الأساسي هو (التغيير الكيميائي) أي التغيير في تركيب المادة، والكيمياء أقسام ثلاثة رئيسية: الكيمياء اللاعضوية، والكيمياء العضوية والكيمياء الطبيعية أو الفيزيائية. ويمكن القول أن أولية الكيمياء ترقى إلى مطالع القرن الأول قبل الميلاد عندما أخذ الكيميائيون يقدمون ببعض التجارب في هذا الحقل، ثم جاء المسلمون فخطوا بعلم الكيمياء خطوات واسعة إلى الأمام، وبحسبك أن تعلم أن جابر بن حيان تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) أبا الكيمياء وكان أول الكيميائيين الذين نادوا بأهمية البحث التجريبي وأنه هو

(وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)(١).

وهي السبب (أو إحدى أهم أسباب) إمداد الله تعالى الطغاة بالقوة (٢) - وبمزيد منها (٣) - على مر الأيام حتى حين.. وهي السبب في إرسال موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)(٤).

وهناك سبب آخر كان وراء إعطائه (عليه السلام) الحرز للمأمون، وهو أن ذلك مصداق من مصاديق السنة الكونية الشاملة، في كل الطغاة، والتي أشار إليها تعالى بقوله: (إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا)(٥) وفي ذلك (امتحان) للحاكم وللشعب معا في وقت واحد. والله العالم. هذا من الناحية الشخصية.

٢: وأما من الناحية السياسية: فيمكن القول بأن السبب في إعطائه (عليه السلام) الحرز للمأمون هو نفس السبب في إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام المشورة لعمر في كيفية التصدي لجيش الفرس الرهيب الذي كاد - لولا عمل عمر بمشورة الإمام (عليه السلام) - أن يكتسح العراق، ثم سائر أجزاء الإمبراطورية الإسلامية الوليدة(٦).

وكذلك استشارة عمر بن الخطاب منه (عليه السلام) في الخروج إلى غزوة الروم وإجابته الحكيمة والمدرسة(٧).

ويشير إلى (وحدة الملاك والمناطق) تلميح الإمام الجواد (عليه السلام) إلى معركة المأمون القادمة مع الروم كما ذكر في مطلع هذا البحث.

ويوضح هذه النقطة أكثر مشاركة الإمام الحسن (عليه السلام) - كما في بعض الروايات - في قيادة الجيش الذي أرسله عمر إلى بلاد فارس(٨) وعشرات من الأحداث الأخرى.

فالحديث إذن هو من مصاديق القاعدة العقلية الشهيرة (قاعدة الأهم والمهم) و (دفع الأفسد بالفساد).

٣: ومن الناحية الاجتماعية والإعلامية(٩): يمكن لنا أن نلاحظ بأن هذا الحدث يعد من أقوى الأساليب الإعلامية، وأهم الطرق الدعائية لتعريف القادة الحقيقيين للأمة، وكان له ولنظائره - كنظائره الصادرة من سائر

الذي اكتشف حمض النتريك وحمض الكبريتيك.

١- سورة القصص: ٧٦.

٢- قال الله تعالى: (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ) سورة الإسراء: ٢٠.

٣- أي: من القوة.

٤- سورة طه: ٤٣ و ٤٤.

٥- سورة آل عمران: ١٧٨.

٦- ورد جانب من هذا الحدث التاريخي ومن المشورة التي منحها الإمام لعمر، في نهج البلاغة، وقد أشار السيد المؤلف إلى هذا الحدث بشيء من تحليله ومصادره في كتابه (أضواء على حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)) والكتاب مطبوع قبل حوالي عشرين سنة.

٧- نهج البلاغة: الرقم ١٣٤.

٨- أشار السيد المؤلف إلى هذا الحدث في كتابه: (لمحات من حياة الإمام الحسن (عليه السلام)) مخطوط.

٩- ليلة ٢٤/٢/ج ١٧٢٤ هـ ق.

المعصومين (عليهم السلام) تجاه الطغاة - أكبر الأثر في تدعيم مكانة الأئمة وتعزيزها في صفوف المجتمع، بل وحتى داخل أجنحة الأسرة المالكة.

فبالنسبة للأسرة المالكة نجد أمثال محمد بن أبي بكر (١)، ومعاوية بن يزيد بن معاوية (٢) (الذي أراد إرجاع الملك إلى الإمام السجاد (عليه السلام) فاغتيل من قبل أركان البيت الأموي) ونظائرهم.

وبالنسبة لعامة الناس، فإن من الواضح أن هذه الأحداث لم تكن تخفي عليهم، بل كان صدور أمثال هذه القضية من الأئمة (عليهم السلام) وخضوع الأمراء والخلفاء لهم في الكثير من المواطن (علميا وسياسيا و..) واضطرارهم للإشادة بمكانة الأئمة، على مسمع من أركان البلاد ووجوه الناس وفحول العلماء، كما في قضية المجلس العلمي الذي عقده المأمون للإمام الجواد (عليه السلام) والذي شحن فيه أرقى المستويات العلمية من مختلف الأديان لمناقشة الإمام (عليه السلام) وهو بعد صبي (٣)، وعشرات القضايا الأخرى.

كان لكل ذلك دوي هائل في صفوف الجماهير وكانت التموجات التي تنجم عنها في طبقات المجتمع متتالية متنامية، وكان لها أيضاً أثر كبير في زلزلة أركان عروش أولئك الطغاة، ولذلك أيضاً كان الخلفاء العباسيون والأمويون يخططون لاغتيال الأئمة (عليهم السلام) وتصفيتهم جسدياً، كما تشير إلى ذلك أيضاً كلمة (المنصور العباسي) (٤) الشهيرة التي أطلقها بعد أن تصدى الإمام الصادق (عليه السلام) للإجابة على أسئلة علمية دقيقة من أحد العلماء عجز عن الإجابة عنها المنصور ومن حوله، فتصدى الإمام الصادق (عليه السلام) للإجابة إجابة شافية وافية، وعندما غادر الإمام (عليه السلام) المجلس، هتف المنصور بغيط: (هذا الشجى المعترض في حلقي) (٥).

وهناك لفته هامة في مجموعة الآيات والسور التي يشترط أن يقرأ الإنسان كل واحد منها ٢٨ مرة موزعة على ٤ ركعات - كما سبق - وقبل أن يشد حرز الجواد الإمام (عليه السلام) على عضده.

ففي البدء، عليه أن يقرأ بعد الحمد (آية الكرسي) سبع مرات، وما اعمق دلالتها وما أتمها وأكملها من حجة، خاصة على أمثال المأمون العباسي، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم..) فالمعبود الحقيقي الواحد الأحد هو الله، لا الطاغوت، وهو المالك الحقيقي لكل شيء (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (٦). و (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

١- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٨ ب ٣٦.

٢- معاوية بن يزيد بن معاوية (توفي عام ٦٨٤م) حاكم أموي عام (٦٨٣م) حفيد معاوية ابن أبي سفيان خلف أباه يزيد بن معاوية قاتل الإمام الحسين (عليه السلام).

٣- راجع كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٦٩.

٤- المنصور العباسي (٧١٢ - ٧٧٥م) ثاني حكام بني العباس (٧٥٤ - ٧٧٥م) (يعتبر أبي العباس السفاح الثاني) وقمع عدداً من الثورات وبخاصة ثورات العلويين وقضى على أبي مسلم الخراساني بعد أن ضاق ذرعاً بنزوعه إلى الاستقلال والتفرد في الأمور، بني مدينة بغداد عام (٧٦٢م).

٥- دلائل الإمامة: ص ١٤٣، والعدد القوية: ١٥٨، وأمالى الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص ٦١١ المجلس ٨٩ وفيه: (المعترض في حلوق الخلفاء).

٦- سورة البقرة: ٢٥٥.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (١) لا ملوك الأرض وهو العالم الذي لا يغفل طرفه عين، والمحيط بكل شيء (لا تأخذُه سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) (٢).

و (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) (٣)، وهو (القيوم) (٤) و (العلي) (٥) و (العظيم) (٦)، فأين المفر؟ ثم (لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (٧) - على عكس سيرة الطغاة والمستبدين - و (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) فهل للمؤمن وأتباعه ما يعذرُه؟

ثم يأتي في التصريح الفاصل (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ..) (٨) إذن الطاغوت هو النقطة المقابلة لله تعالى والكافر به مستمسك بالعروة الوثقى وأن قبح كالإمام الكاظم (عليه السلام) في قعر السجون وظلم المطامير..

وبعدها السنة الإلهية الكونية الشاملة الفاصلة (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٩).

وما الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا كقطرة في محيط أو كلحظة بالقياس إلى زمن لا متناه.. ثم إذا انتهى المرء من (آية الكرسي) عليه أن يقرأ الآية الشريفة: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١٠).

وفيها تأكيد لبعض المقاطع السابقة في (آية الكرسي) وإضافة قيامه جل وعلا بالقسط، ثم الدين هو الإسلام والتسليم، ومن لم يسلم ولم يستسلم لأوامر الله فليس بمسلم.

ثم هو عزيز غالب، كما قال تعالى في موضع آخر: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) (١١) فهل للمؤمن وغيره - بعد كل ذلك - أن يركن إلى سلطته وقوته وإن يعتز بملكه وجبروته؟

ثم نجد السنة الإلهية العامة والوعيد الرهيب: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١٢).

١- سورة البقرة: ٢٥٥.

٢- سورة البقرة: ٢٥٥.

٣- سورة البقرة: ٢٥٥.

٤- سورة البقرة: ٢٥٥، سورة آل عمران: ٢، سورة طه: ١١١.

٥- سورة البقرة: ٢٥٥، سورة الحج: ٦٢، سورة لقمان: ٣٠، سورة سبأ: ٢٣، سورة غافر: ١٢، سورة الشورى: ٤.

٦- سورة البقرة: ٢٥٥، سورة الشورى: ٤، سورة آل عمران: ٧٤.

٧- سورة البقرة: ٢٥٦.

٨- سورة البقرة: ٢٥٦.

٩- سورة البقرة: ٢٥٧.

١٠- سورة عمران: ١٨ و ١٩.

١١- سورة المجادلة: ٢١.

١٢- سورة آل عمران: ١٩.

وبعد ذلك على المرء أن يقرأ سورة (الشمس) ثم (الليل) ثم (التوحيد).
وفي السورة الأولى نجد الأقسام المتتالية تمهيداً لتركيز مفهوم (فَالْهَمَّهَا) (١) أي النفس (فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا *
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (٢) ثم الاستشهاد بحدث تاريخي يكشف عن فداحة العقاب الإلهي الذي
ينال الطغاة: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا.. (٣) فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) (٤).
وفي السورة الثانية نجد الآيات الكريمة، تصنف البشرية إلى صنفين، وتضع جموع الناس في معسكرين،
فبعد تمهيد: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (٥) نجد أن هنالك (مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) (٦). وهنالك (مَنْ بَخِلَ
وَاسْتَعْتَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) (٧).
ولكل من جيوش الظلال والهدى ثلاث مواصفات متقابلة، والنتيجة أيضاً متقابلة: (فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى) (٨) و
(فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى) (٩).
ثم يأتي التحذير الإلهي الكبير: (فَانذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (١٠).
وفي السورة الثالثة: رجوع إلى التركيز على المعبود الحقيقي الواحد الأحد وبعض صفاته الجمالية، الصمد:
الغني أو السيد والولي الحقيقي، والجلالية (١١) الذي (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (١٢).

غصن الزيتون (١٣)

نقرأ في الدعاء الوارد ليلة عرفة (١٤)، ويستحب قراءته أيضاً كل ليلة جمعة: (وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي كَتَبَ

-
- ١- سورة الشمس: ٨.
 - ٢- سورة الشمس: ٨ و ٩ و ١٠.
 - ٣- سورة الشمس: ١١.
 - ٤- سورة الشمس: ١٤ و ١٥.
 - ٥- سورة الليل: ٤.
 - ٦- سورة الليل: ٥ و ٦.
 - ٧- سورة الليل: ٨ و ٩.
 - ٨- سورة الليل: ٧.
 - ٩- سورة الليل: ١٠.
 - ١٠- سورة الليل: ١٤ و ١٥ و ١٦.
 - ١١- حول الصفات الجمالية الجلالية راجع كتاب (الباب الحادي عشر) للعلامة الحلي (قدس سره) وكتاب (القول
السديد) و (العقائد الإسلامية) للإمام الشيرازي (دام ظله).
 - ١٢- سورة الأخلاص: ٣ و ٤، استغرقت كتابة هذا المبحث مع التفكير فيه حوالي الساعتين، وربما زادت نصف
الساعة.
 - ١٣- ليلة ٢٧/٢ج/١٧٤١ هـ ق.
 - ١٤- الاقبال: ص ٣٢٧، دعاء ليلة عرفة.

على ورق الزيتون فخضعت النيران لتلك الورقة فقلت: (يَا تَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا)(١).
 إذن فد(حمامة السلام وهي تحمل غصن الزيتون في فمها) والتي تعتبر رمزاً عالمياً للسلام اليوم، قد ترجع في جذورها التاريخية إلى قضية النبي إبراهيم (صلوات الله عليه) وربما أمكن اعتبار هذه القضية مصداقاً ووجهها من وجوه استجابة دعوته (عليه السلام): (وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)(٢) إذ هي ذكرى خالدة تذكرنا أبداً بذلك النبي العظيم وبمكانته الكبرى.
 وأما (الحمامة) فيمكن أن تكون نوعاً من الاقتباس - أيضاً - من تلك الطيور التي كانت تحاول بقطرات ماء تحملها في مناقيرها الصغيرة أن تطفأ النيران الهائلة المضرمة لحرق إبراهيم (عليه السلام)!!
 ولعل السبب في عدم إطفاء الله النار مباشرة، بل عبر كتابة اسمه على ورقة، هو أن (عالم الغيب) أيضاً قدر الله له أن يدور في ضمن منظومة من الأسباب والوسائط الجلية أو الخفية، ف(قبض الروح) بواسطة عزرائيل، والأرزاق عبر ميكائيل، وعبور الصراط عبر صك من الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وإطفاء النار عبر (ورقة الزيتون)..

ليلة القدر (٣)

يستحب قراءة سورة (القدر)(٤) في كافة الصلوات اليومية بعد الحمد في الركعة الأولى(٥)، كما يستحب قراءة سورة التوحيد(٦) في الصلوات الخمس في الركعة الثانية منها(٧).
 لماذا؟
 وما هي الضرورة الداعية إلى الحث على قراءتها خمس مرات في اليوم، عدلاً لسورة التوحيد دون سائر السور؟

تساءلت وأنا أقرأ هذه المسألة الشرعية في (الرسالة العملية)(٨) ثم ازداد التساؤل عمقاً عندما لاحظت الرواية الواردة في مفاتيح الجنان عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في أعمال يوم الجمعة بأن (الله تعالى ألف نسيم من نسيمات الرحمة الإلهية يفيض منها على من شاء من عباده يوم الجمعة بما يشاء، فمن قرأ سورة

١- سورة الأنبياء: ٦٩.

٢- سورة الشعراء: ٨٤.

٣- ٢٧/ج٢/١٧٢٤١٧ هـ.ق.

٤- راجع تأويل الآيات: ص ٧٩٠ وفيه أصل استحباب قراءة سورة القدر.

٥- راجع تأويل الآيات: ص ٧٩٣ وفيه يقرأها في الركعة الثانية.

٦- راجع في أصل استحباب قراءة سورة التوحيد تأويل الآيات ص ٨٢٣، الخصال ص ٦٣١ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٣٤.

٧- راجع أمالي الصدوق: ص ٤١٣ المجلس الرابع والستون، وفيه يقرأها في الأولى.

٨- انظر (المسائل الإسلامية) و (رسالة توضيح المسائل) أحكام الصلاة، القراءة، للإمام الشيرازي (دام ظله).

القدر عصر الجمعة مائة مرة ضاعف الله له تلك الألف ثم أعطاها إياه (١).
لماذا؟.

ربما يعود السبب إلى النقاط التالية:

فـ(سورة التوحيد) تركيز على (الخالق) جل وعلا وصفاته الجمالية والجلالية، و (سورة القدر) تسلط الضوء على (الوسيط) و (الروابط) بين (الخالق والمخلوق) وهو القرآن الكريم، وعلى المقطع الزمني الذي نزل فيه ذلك الكتاب الإلهي، وعلى (الأهمية الإستراتيجية) لهذا المقطع الزمني الفريد فـ(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (٢).

لماذا؟ لأنها الليلة التي: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (٣) ولذلك نجد استحباب وضع المصحف الكريم على الرأس هذه الليلة وقراءة الأدعية الفريدة (٤).. إنها تركيز للعلاقة بين العبد والكتاب والرب وهذه السورة المباركة تسلط الأضواء على معادلة أخرى هي في غاية الأهمية أيضا تكشف عن ترابط تكويني - تشريعي شامل على كل المستويات بين: الرب - رسل السماء - الأنبياء (٥) - ثم الأوصياء، مختتماً بالإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف).

وكذلك بين: الأوامر التشريعية والتقديرات الإلهية - الخلق ومنها البشرية جمعاء. إنها الليلة التي (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) (٦) - وهم رسل السماء (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (٧) - تكويني أو تشريعي على حجة الله على الخلق - كل الخلق - في كل عصر (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (٨) وهذه الليلة هي أيضاً مجلى (رحمة الله الواسعة ولطفه وكرمه ورضوانه). فسورة القدر إذن تعكس كلا (الثقلين) وكلا (الحبلين) الذين قررهما الله تعالى وسيطين ورابطتين بينه وبين خلقه (٩).

إضافة إلى أن التركيز الهائل على قراءة هذه السورة المباركة يبعث في الإنسان أكبر الدوافع لـ(استثمارها)

١- راجع مصباح المتجهذ: ص ٣٨٦.

٢- سورة القدر: ٣.

٣- سورة القدر: ٤ و ٥.

٤- راجع مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي (قدس سره) أعمال ليلة القدر.

٥- أو النبي (صلى الله عليه وآله) فقط.

٦- سورة القدر: ٤.

٧- سورة القدر: ٤.

٨- سورة القدر: ٥.

٩- في ١٧/رجب/١٤١٧هـ ق، يوم الجمعة، كنت أقرأ سورة القدر عصراً على أن أكملها مائة مرة، وكنت أحياناً أتأمل مقاطعها فخطرت في بالي هذه الإضافة من [هذه السورة المباركة] إلى [بين خلقه] بعد الرجوع إلى القرآن المترجم الذي يوجد لدي وعبارته (در این شب فرشتگان وروح (یعنی جبرائیل) باذن خدا بر امام عصر أزهَر زمان ودستور إلهي وسرنوشت خلق نازل گرداند) ومع الأسف لا يوجد لدي أي تفسير أرجع إليه (منه).

(١) خير استثمار منذ أن يهل هلالها وحتى مطلع الفجر!
وما أكثر من ترى ممن يمر بها مر الكرام، وكأنها ليلة من ليالي السنة المعهودة، أو إن زاد فإنه يقتنص ساعة أو اثنتين ثم يعود لسالف عهده وماضي سيرته!
إنها ليلة استراتيجية، كل لحظة فيها تثنى بالمليارات، فإنها ليلة (القدر) التي فيها يقدر مستقبل الإنسان ويحدد مدى العطاء الإلهي الذي يناله المرء في الدنيا والآخرة.
وما أعظمها من ليلة؟
وما أجهل الكثيرين بتلك العظمة!
وذلك التركيز الهائل لأجل الألفات المصيري.. إننا نرى الحكومات والمؤسسات تبذل مئات الملايين، وتجند كل طاقاتها بما فيها كافة وسائل الإعلام ولأشهر عديدة، لأجل شحذ هممة الناس للاشتراك في الانتخابات الرئاسية أو انتخابات المجالس الوطنية (البرلمانات) والتي لا تستغرق عادة إلا ساعات.. لماذا؟
لأن هذه الساعات تحدد مصير أمة لسنوات أربع أو أكثر.
إن (ليلة القدر) كسائر الليالي من حيث البعد الفلكي، إلا أنها هي تلك الليلة التي تفرق فيها من كل أمر حكيم (٢).. وإنها الليلة التي يعادل فيها (العمل الصالح) عمل ألف شهر (٣) أي إن عبادة ٨٣ عاماً و ٤ أشهر تساوي عبادة هذه الساعات القلائل! ومع ذلك ما أشد غفلة ابن آدم عنها؟
ولذلك دعت الضرورة بل اللطف الإلهي إلى شدة التركيز عليها إلى حد استحباب قراءة سورة القدر في كل الصلوات الخمس طوال السنة!
إن (نمط) الأدعية الواردة عن أئمة الهدى (عليهم السلام) في هذه الليلة يشير إلى تلك الحقائق، فإننا نجد مثلاً في دعاء ليلة ٢١ من شهر رمضان المبارك (وهي إحدى ليالي القدر الثلاثة): (.. أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في عليين، وإساعتي مغفورة، وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي، وإيماناً يذهب الشك عني وترضي عني بما قسمت لي، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار الحريق، وارزقني فيها ذكرك وشكرك والرغبة إليك، والإجابة والتوفيق لما وفقت له محمداً وآل محمد عليه وعليهم السلام) (٤).
ولكن: لماذا أضحت ليلة القدر على أهميتها (مجهولة) أو (ضائعة) بين ليلتين أو ثلاثة ليال (ليلة ١٩ أو ٢١ أو ٢٣) من شهر رمضان، ولماذا لم يحدد المعصومون (عليهم السلام) طوال أكثر من قرنين والنصف هذه الليلة المصيرية (٥)؟

١- أي ليلة القدر.

٢- إشارة إلى قوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، سورة الدخان: ٤.

٣- إشارة إلى قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) الآية.

٤- مصباح الكفعمي: الفصل (٤٥) ص ٥٨٢.

٥- التفكير في هذا المبحث وكتابته حتى هنا استغرق حوالي الساعة.

العلم أم العبادة؟

تبقى هنا نقطة هامة (١) تجدر الإشارة إليها، وهي: التنبيه على السبب الكامن وراء ما قاله الشيخ الصدوق (رحمه الله) فيما أُملى على المشايخ في مجلس واحد من مذاهب الإمامية (ومن أحيى هاتين الليلتين) - ليلة ٢١ و ٢٣ - بمذاكرة العلم فهو أفضل (٢).

السبب يعود إلى أن (العلم نور) (٣) وإن بالعلم تدفع الشبهات، وتمزق شبك إبليس، وبه يرشد الضال ويمحق الضلال، ولذلك كان (نوم العالم أفضل من عبادة العابد) (٤).

ولذلك كان (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) (٥) ولذلك كان التركيز الهائل في القرآن الكريم على (التدبر والتفكير) وعلى (العقل) (٦).

ولعله لذلك أيضاً كانت أول سورة قرآنية هي سورة (اقرأ) (٧) وأول آية فيها بعد البسملة هي (اقرأ) (٨). ولذلك أيضاً كانت أهم ميزة ذكرها الله سبحانه وتعالى لآدم (عليه السلام) - والتي كانت السبب في تفصيله عليهم رغم ما كانت تتمتع به الملائكة من (عبادة) لا يمكن لابن آدم أن يجاريها - هي: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

١- كتبت ليلة الجمعة ٣/رجب/١٧٤١ هـ ق.

٢- نقلاً عن (مفاتيح الجنان) في مبحث أعمال الليلة ٢١ من شهر رمضان، وأمالى الصدوق: ص ٦٤٩ المجلس الثالث والتسعون.

٣- قال الصادق (عليه السلام): (ليس العلم بكثرة التعليم وإنما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد الله أن يهديه) منية المريد: ص ١٦٧.

٤- مستطرفات السرائر: ص ٦٢٠، ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب من لا يحضره الفقيه.

٥- راجع منية المريد: ص ٣٤١، آداب الكتابة والكتب.

٦- قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سورة آل عمران: ١٩١. وقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الرعد: ٣، وقال عز وجل: (سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الجاثية: ١٣، وراجع أيضاً سورة الروم: ٨، سورة يونس: ٢٤، سورة النحل: ١١، وقال سبحانه: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة البقرة: ١٦٤، وقال تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) سورة الأنفال: ٢٢. وقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة الروم: ٢٤. وراجع أيضاً سورة العنكبوت: ٦٣، سورة الفرقان: ٤٤، سورة النحل: ٦٧.

٧- سورة العلق: ١.

٨- سورة العلق: ١.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ(١) ولذلك، كان الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومن قبلهم رسل الملك الجبار، كلما حدث (تزامم) بين (العلم) و (العبادة) رجحوا أن ينشغلوا بـ(تعليم الناس) بدلاً عن (الانصراف للعبادة)(٢). وهكذا نجد أن الفرصة عندما سنحت للإمام الصادق (عليه السلام) للتدريس ألقى بثقله على ذلك الجانب وعند ما حالت الظروف السياسية بين الإمام السجاد (عليه السلام) وبين ذلك، ألقى بثقله على العبادة، اللهم إلا بالقدر الذي كان يمكنه عليه السلام من (تسريب) علوم آل البيت (عليهم السلام) عبر الأدعية!! حتى أضحت (الصحيفة السجادية) دائرة معارف ربانية وإنسانية، بل مدرسة متكاملة..

ولكن ما المقصود بالعلم الذي لا تضارعه العبادة؟

إنه دون شك هو ذلك العلم الذي:

أ: (يكشف الحقيقة) ويسلط الأضواء عليها.

ب: يستخدم للوصول إلى المقصد الأرفع للخلقة.

وليس ذلك العلم الذي يكون (حجاباً بين الإنسان وبين الحقائق)(٣). وليس ذلك العلم، الذي لا يحمل من

(العلم) إلا (الاسم) والذي لا يعدو كونه جهلاً مركباً(٤).

وليس ذلك العلم الذي يستخدم كشبكة لاقتناص ملذات الدنيا والذي يتخذ سلماً نحو التراس والتفاخر و..

وأيضاً ليس ذلك العلم الذي تضيع به الثمرة واللباب(٥) ويضحى بسببه بالأهم، أو ذلك (العلم الذي لا ينفع) والذي (ينبغي الاستعانة بالله تعالى منه) كما ورد في التعقيبات المختصة بصلاة العصر - وما أروع من دعاء (اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن علم لا ينفع، ومن صلاة لا ترفع، ومن دعاء لا يسمع..)(٦).

إنه ذلك العلم الذي ينطبق عليه قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)(٧).

إنه العلم الذي قال عنه (عليه السلام): (ليس العلم بكثرة التعلم إنما العلم هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء)(٨).

١- سورة البقرة: ٣١.

٢- بالمعنى الأخص.

٣- كعلم الكهانة والسحر، أو كثير من مباحث (العرفان) و (الفلسفة) المتداول في هذا اليوم!!.

٤- ككثير من (علوم) علماء الأديان والمذاهب الضالة، وكجانب من علم (الفلسفة) غير المهذبة، كمباحث (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد) و (العقول العشرة) وشبهها.

٥- كما في كثير من مباحث (علم الأنساب) كما ورد في رواية أنه (صلى الله عليه وآله) مر على قوم يحدثهم شخص، فسأل عنه، فقالوا: هو نسابية، فقال (صلى الله عليه وآله): (ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه).

٦- راجع بحار الأنوار: ج ٨٦ ب ٤٠ ص ٩٣ ح ١٥، عن مصباح المتعبد والكفعمي.

٧- سورة فصلت: ٥٣.

٨- راجع منية المريد: ص ١٦٧، في التوكل على الله تعالى.

وبعبارة أخرى: إنه العلم الذي يهدي إلى الخالق، أو يخدم إحدى المصالح الإلهية التي قررها في الكون (١). وطريق معرفة ذلك هو الرجوع إلى القرآن الكريم، مشفوعاً بعلوم آل بيت الرسول (عليهم السلام) كما قال (صلى الله عليه وآله): (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي..)(٢). ولكن هل يعني كل ذلك أن نترك (العبادة)(٣) في هاتين الليلتين ونظائرهما، لننصرف كلياً إلى العلم(٤). كلا.. ثم كلا..(٥).

فإن القلوب قد تصدأ، وإن الشيطان لبالمرصاد، وإن (النفسَ لأَمَّارَةً بالسُّوءِ)(٦) و (إن الدنيا تغر وتضر وتمر)(٧)،(٨) والإنسان كثيراً ما يصاب بـ(العجب والغرور والحسد والرياء والسمعة وحب الدنيا ..) وما أخطر ذلك لو سرى إلى العلماء وما أكثر من وقع من العلماء في شباك إبليس(٩)، أو (طلب العلم ليماري به السفهاء ويجادل به العلماء)(١٠) أو اتخذ سلماً لمآرب دنيوية(١١)، من مال أو رئاسة أو شهوة أو غير ذلك، أو أضحى صريع هوى النفس(١٢) وليس الذين (جَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ)(١٣) من العلماء بقليل..

إذن.. لا بد من تصفية، ومن محك، ومن مغتسل روحي، يزيل الصدأ والرين الكامن على القلوب، ويتصدى للشيطان، ويسند جنود العقل، ويهذب النفس، ويعطف عنان الأهواء إلى ما أحل من: (زينة الله التي أخرج

١- كعلم الطب مثلاً.

٢- بحار الأنوار: ج ٢ ب ٢٩ ص ٢٢٥.

٣- بالمعنى الأخص.

٤- هاتان الصفحتان في الساعة الحادية عشر إلا الثلث، إلى الحادية عشر والنصف مساءً، دون امتلاك أي مصدر أرجع إليه مع الأسف.

٥- ليلة ٦/رجب/١٧٤١ هـ ق. كتبت هذه الصحيفة ونصف الصحيفة اللاحقة خلال ٣٥ دقيقة تقريباً.

٦- سورة يوسف: ٥٣.

٧- راجع بحار الأنوار: ج ٣ ب ١٢٢ ص ١١٩ ح ١١٠، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الدنيا تغر وتضر وتمر وإن الله تعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه وأن أهل الدنيا بينا هم حلول إذا صاح بهم سائقهم فارتحلوا).

٨- يقول الشاعر: \$نفسي وشيطاني ودنيا والهوى***كيف الخلاص وكلهم أعدائي

٩- كبلعم بن باعورا، والشلمغاني، وكثير من الأخبار والكهنة والقساوسة في أزمنة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وغيرها.

١٠- إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وآله): (يا علي من تعلم علماً ليماري به السفهاء أو يجادل به العلماء أو ليدعو الناس إلى نفسه..).

١١- كعمر بن سعد وشريح القاضي.

١٢- كفضائل الواقفية زمن الإمام الكاظم (عليه السلام) أمثال البطائني.

١٣- سورة النمل: ١٤.

لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (١) بل إلى زينة (النعيم الأزل، والعيش المقتبل، ودوام الأكل وشرب الرحيق والسلسل، وعل ونهل لا سأم منه ولا ملل) (٢) - بل يهديها ويرشدها إلى لذة ما فوقها لذة - لذة المناجاة مع إله العالمين، والتوسل بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وآله الميامين (عليهم السلام).
ولذلك - ولما يضارعه - كانت ليلة القدر، وكانت الأدعية الواردة فيها، وكانت المنازل الرفيعة والدرجات السامية والمثوبة الجزيلة على أنماط العبادة المختلفة الواردة فيها.
وجمعا بين الحقين وإحراز للآثار الوضعية التكوينية، والفردية - الاجتماعية، والجسمية - والروحية - (طلب العلم) و (العبادة) كان لا بد في النظر القاصر، من التمسك بكلا الحبلين، والاعتصام بما يصقل النفس والروح (العبادة) وبما يغذي العقل والفكر و (العلم) بل والتصدي أيضاً في أمثال هذه الليالي المباركة - (العمل الصالح، وقضاء حوائج الإخوان، وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل و...) (من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة أولها) (٣).

و (إصلاح ذات البين، أفضل من عامة الصلاة والصيام) (٤).

و (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل) (٥).

و (ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم...) (٦).

ولذلك نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومولى الموحدين وسيد الكونين بعد رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) يقول لمن رآه مرهقاً، مكدوداً من السهر والعبادة ليلاً - وهو الذي غطى نهاره القيام بإرادة إمبراطورية تغطي مساحة ما يقرب من ثلثي المعمورة -.. يقول له وقد دعاه إلى بعض الراحة وقليل من الاستراحة: إن نمت الليل ضيعت نفسي وإن نمت النهار ضيعت ريعتي.

وختاماً: لقد فتح الباري الرحمن الرحيم أبواب رحمته على مصراعيها في هذه الليلة المباركة (ليلة القدر) ودعانا أن نبتهل إليه، ونطلب منه شتى حوائجنا الدينية والدنيوية.. (فهل من مذكر)؟ (٧).

١- سورة الأعراف: ٣٢.

٢- من الزيارة الواردة عن صاحب الأمر (عجل الله فرجه الشريف) في زيارة المشاهد المشرفة في شهر رجب. راجع مصباح المتعبد: ص ٨٢٢.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٩٢ ح ١.

٤- الكافي: ج ٧ ص ٥١ ح ٧.

٥- نهج البلاغة: ص ٢٥ ح ٣٦٦ من كلمات القصار.

٦- نهج البلاغة: ص ١١ ح ٣ من خطبه وهي المعروفة بالشقشقية.

٧- سورة القمر: ١٥ و ١٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٠ و ٥١. كتبت هذه الصحيفة وأنا قلق على أخي السيد مهدي الذي نقل إلى المستشفى قبل ٥ ساعات ولا خبر لي عنه حتى الآن، وأنا جالس وحيداً فريداً في الزنزانة والساعة الآن الثامنة و ٧ دقائق مساءً، وكانت بداية البدء بكتابة هذا المبحث الساعة ٧. ٣٠ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه (ومن توكل على الله كفاه الأمور واره السرور).

الخالق أعظم من المخلوقين (١)

يستحب في تعقيبات صلاة المغرب أن نقرأ عشر مرات: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله، استغفر الله) (٢).

فما هو الرابط المنطقي بين المقطع الثالث وما سبقه؟!

أ: ربما يكون (الاستغفار) استغفار عن (البناء العملي) على أن المشيئة لغير الله والقوة لغيره وبغيره، فإن الكثير يعترف بقلقة لسانه بأن (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) (٣) وبأن (لا حول ولا قوة إلا بالله) (٤) وبأن الرزق بيد الله (تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) (٥) وبأن (الزكاة) موجبة لنمو المال و (الخمس) سبب لبركته، وإن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق) (٦) ولكن سيرته العملية، وبناء حياته الشخصية والاجتماعية،

على أن الحول والقوة هي بيد رب العمل، أو هذا الثري.. وذلك التاجر، وبأن المشيئة هي بيد الحاكم والأمير والوزير، وبأن الرزق بوابته الرشوة والكذب والاحتيال، وبأن الزكاة والخمس ممحقة للمال، مزيلة للثروات، وبأن الأمر بالمعروف والجهاد هو السبب في البلاء النازل على هذا أو ذاك، كما قال تعالى: (يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) (٧). وقال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِثِدًا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا..) (٨).

ب: وربما يكون (الاستغفار) استغفار عن (توهم) ذلك.

ج: أو عن (خطرات) تخطر أحياناً بالقلب.

د: أو عن (الميل القبلي) إلى الاتكال على هذه القوة وتلك.

هـ: (التخوف والاضطراب والقلق) الناجم عن عدم الاطمئنان القلبي المتكامل بـ أقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا (٩) وهي بعقديها السلبي والإيجابي، عبارة أخرى عن (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) (١٠).. وهكذا..

١- ليلة ٢٨/ج ١٧/٢ هـ ق.

٢- مصباح الكفعمي: ص ٣٩ الفصل ٩ في تعقيب صلاة المغرب.

٣- مصباح الكفعمي: ص ٦٨ في تعقيب صلاة الصبح.

٤- علل الشرائع: ص ٥.

٥- سورة الأنعام: ١٥١.

٦- نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦ - ٧.

٧- سورة آل عمران: ١٥٤.

٨- سورة آل عمران: ١٥٦.

٩- سورة التوبة: ٥١.

١٠- مستطرفات السرائر ص ٦٢٣ من ذلك ما استطرفناه من كتاب من لا يحضره الفقيه.

وهذا المبحث يلقي الضوء أيضاً على الإجابة على سؤال سألني أخي الأصغر (السيد مهدي) حفظه الله ونحن في السجن قبل ثلاثة أشهر من تاريخ كتابة هذا البحث - ولا أزال أنا وهو حتى الآن رهن المعتقل - والحمد لله الذي لا يحمد على كل مكروه سواه.

سألني الأخ، وقد اقترحت عليه قراءة العديد من الأدعية والأحراز وكان منها: حجاب الإمام الجواد (عليه السلام) والذي يبدأ بـ(الخالق أعظم من المخلوقين، والرازق أبسط يدا من المرزوقين، ونار الله المؤصدة في عمد ممددة تكيد أفئدة المردة وترد كيد الحسدة..)(١).

تساءل الأخ: إن من البديهي إن الخالق أعظم من المخلوقين والرازق أبسط يدا من المرزوقين، فلماذا يقول الإمام ذلك أو ما الفائدة في ذلك؟ فأجبت بالإجابة السابقة(٢).

وأضيف:

بأن هاتين الفقرتين عبارة أخرى عن قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)(٣) وبأن من صغرياتها ما أشارت إليه الآية الشريفة: (كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)(٤)، وأمثال الآية الشريفة: (عَأْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا)(٥) تلقي الضوء على إجابة أخرى عن هذا التساؤل فتدبر(٦).

رجاء(٧)

إليك، يا مليكة عالم القدس الربوبي.

إليك.. أيها الملاك.. بل يا من يلثم تراب أقدامها، بكل خضوع وخشوع، ملائكة السماء.

إليك يا حبيبة المصطفى وقرينة المرتضى.

إليك سيدتي، أثبت بعض آلامي وجراحي.

سيدتي.. لكم آلمني أن اقبع، ليلة ميلادك الأنوار، في زاوية بغیضة من زوايا سجن رهيب...

١- مهج الدعوات: ص ٣٠٠ حجاب الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام).

٢- فلأن (البناء العملي) للكثيرين و (الوهم والخطرات والميل القلبي) إلى أن المقدرات بيد هذا الطاغوت أو التاجر أو.. فاحتاج الأمر إلى الإلفات وإلى التركيز على: كلا ثم كلا، فإن (الخالق أعظم من المخلوقين، والرازق أبسط يدا من المرزوقين) فلماذا تشرك بالله غيره؟ ولماذا لا تكل الأمر إلى الله؟ ولماذا لا تفوض الأمر إلى الله وقد قال تعالى: (وَأَفْوضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) الآية، و (من توكل على الله كفاه الأمور وأراه السرور).

٣- سورة الفتح: ١٠.

٤- سورة المجادلة: ٢١.

٥- سورة النازعات: ٢٧ و٢٨.

٦- انتهى البحث في غصون ٤٧ دقيقة.

٧- ليلة ميلاد السيدة الزهراء (عليها السلام) ٢٠/٢/١٧٤١ هـ ق.

لكم أمضني أن أرى أخي الأصغر وما أعزه علي - ليلة ميلادك الأزهر - ممتقع الوجه، كسير القلب، صانما عن الطعام والكلام..

أو ليس كان قد أمل فيك - يا سيدة الكائنات - أن تلحظيه بطرف عنايتك؟
وأن يغمره شعاع نوراني من أشعتك الربانية ينقذه وإيانا من الكرب العظيم، ويهبه وإيانا خير الدنيا والآخرة؟

كم كنت أتمنى، أماء، أن تغمر الفرحة - ليلة ميلادك الأطهر الأغر - قلب والدنا الحنون، وقلب أمنا الحزين وقلوب أسرتنا الضارعة، هذه الأمسية المباركة، فتضاعف الأفراح باقتران عيد ميلادك يا أم بفرج هنيء يمن به علينا الرب الرؤوف الرحيم، وبفضل عميم، وأجر جزيل وعطاء وافر، وخير غامر...

سيدتي يا لها من ليلة مباركة طربت لها ملائكة السماء وحوار الجنان وأفئدة المؤمنين، ولكن ما أصنع أنا يا بضعة المصطفى، إذ كلما حاولت أن أرسم بسمة على شفتي الذابلتين، أكسر بها الوجوم المسيطر على جو الزنزانة الحزين، اعتصرني الألم من جديد، فعدت مكلوم الفؤاد تتناوشني آلام كثيرة، بل آلام لا توصف، وفشلت ويا للأسف في أن أتظاهر - على الأقل - بالبهجة بميلاد أمنا الميمون..

سيدتي.. إن أفئدة كثيرة، متيمة بحبك وولاءك، قد علقت بك الآمال، فهل يجدر بها أن ترجع يوم ميلادك السعيد خائبة؟!!!

حوض الكوثر (١)

هل لنا أن نعرف ماهية (حوض الكوثر)؟

هل يمكن لنا أن نكشف العمق الكامن وراء هذه العبارة البسيطة المظهر؟
وإذا أردنا أن نعمم المبحث ليشمل كل ما في عوالم الماوراءيات، علينا أن نعيد صياغة التساؤل بهذا النمط:
هل يمكن للكانن البشري المطوق بقوانين وأطر ومعادلات محدودة ضيقة، أن يخلق في العوالم الميتافيزيقية، ويكسر حواجز الأفاق الملكوئية، فالجبروتية.. فاللاهوتية؟

هل لنا أن ندرك حقائق نعيش قسماً منها كل يوم، وننطق بقسم آخر منها إلى ما شاء الله.
حقائق من نظائر (الروح) و (الملك) و (الجن) و (الوجود) و (النفس الناطقة) و (رضوان من الله أكبر).
بل وحتى حقائق كـ (الزمن) و (النور = الفوتون) و (الكهرباء) و (الطاقة والمادة) و (عملية التفكير) و (الإدراك) و..

أم أن كل ذلك مما يصدق عليه قوله: (مفهومه من أعرف الأشياء وكنهه في غاية الخفاء) (٢)!!
هذا فيما إذا تطورت بنا العلوم لندرك (مفهوم) تلك الأشياء! أو لنتفق على (تعريف لفظي) واحد لها (٣).

-
- ١- ليلة ٢/رجب/١٧٤١ هـ ق، مع إضافات في ليلة ٣ و ٤ رجب.
 - ٢- هذا البيت للسبزواري وهو مستفاد من الروايات الشريفة. راجع أيضاً عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٥٠، والتوحيد ص ٤٨ باب التوحيد ونفي التشبيه. وسعد السعود: ص ٣٩. وتوحيد الفضل: ص ١٧٩.
 - ٣- إن تعريف الماء بأنه مركب من الأوكسجين والهيدروجين وعناصر أخرى لا يزيد الأمر في معرفة (كنهه

ولنكرر التساؤل من جديد: - وبعبارة أشمل - هل لنا أن ندرك حقائق الأشياء؟
كلا، ثم ألف كلا..

وإلى تلك الحقيقة يشير سيد الساجدين (عليه السلام) قائلاً (١): (سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه) (٢). إذن نكرر: كلا.. ثم ألف كلا..

ولكن يمكننا، أن نستكشف بعض العلامات والدلالات، والتجليات والإشارات على قدر ما يمكن للعقل البشري أن يتوهمه، أو يتخيله، أو يتعقله) وعلى حسب ما يمكن لحقائق ومعاني هذا العالم أو العوالم الأخرى الدارجة في قوس الصعود أو النزول أن تنضغط وتختزل وتعكس في مرآي عالم الألفاظ البشرية.
لقد أشار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) إلى الكثير من رقائق الحقائق، ولطائف الدقائق، برموز وشفرات على قدر ما يمكن لقلم العقل الإنساني أن تلتقط، وتركوا الحديث عن المحيط الأعظم من مجاهيل العالم الأصغر بله العالم الأكبر.

يقول سيد الموحدين (عليه السلام): (ها! إن ها هنا لعلماً جما لو أصبت له حملة!) (٣).
وجمعاً بين الحقيق كانت الرموز!.. ولربما كانت الشفرات القرآنية - ومنها الحروف المقطعة - مما يعلل (فيما يعلل) بذلك!

ولأجل أن تودع أيضاً جيلاً بعد جيل عند مستحفظ بعد مستحفظ (٤).
وبانتظار ذلك اليوم التاريخي السعيد الذي تشرق فيه شمس الأنطاف الإلهية، متجلية في سر الوجود، ورمز الخلود، لعالمي الغيب والشهود، فيضع (عجل الله فرجه الشريف) يده الشريفة على عقول الناس فتكتمل (٥)
لتقفز من (الروضة) - وكل علوم البشرية بالقياس إلى ذلك الزمن روضة، وهي لا تعدو أن تكون كقطرة في بحر علم موسى (عليه السلام) - إلى (الجامعة) دفعة واحدة!
لكنها تبقى مع ذلك، قاصرة عن الإدراك في شتى الأبعاد، الكمية والكيفية، وعن مراتب من المعرفة السامية جداً، عبر عنها الإمام (عليه السلام) بقوله: (إن لنا مع الله حالات لا ينالها ملك مقرب ولا نبي مرسل)، وحتى

حقائق الأشياء) إلا إعضالا فما هي حقيقة الأوكسجين والهيدروجين! إن العلوم لا تملك إلا تحليل الشي إلى أجزائه أو إن تكشف لوازمه أو ما يتوهم أنه لازمه لا أكثر، وقس على ذلك النواة التي تتشكل من إلكترون وبروتون ونيوترون وأن الإلكترون يحمل شحنة سالبة والنواة المركزية تحمل شحنة موجبة وهكذا.

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٦، وتحف العقول: ص ٢٨٣.

٢- هذا التنظير هام جداً يكشف عمق المسألة أكثر فليدقق.

٣- نهج البلاغة: ص ٣٨٨ ح ١٤٧ ومن كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد.

٤- إشارة إلى ما ورد في دعاء الندبة (مستحفظاً بعد مستحفظ). راجع الإقبال: ص ٤٤٩، ومفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي (قدس سره).

٥- إشارة إلى الحديث الشريف: (وفي حديث آخر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم) كمال الدين: ص ٦٧٥ ح ٣١ باب في نوادر الكتاب.

بالنسبة إلى حديثهم قال (عليه السلام): (إن حديثنا صعب مستعصب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان)(١).

وإذا كانت العلوم اللامتناهية - بالقياس - التي أفيضت غيبياً على واحد من أنبياء أولى العزم النبي موسى (عليه السلام)، منسوبة إلى علوم وصي نبي آخر الزمن الإمام علي (عليه السلام) تعادل أربع قطرات فقط، ملحوظة بالقياس إلى بحر مترامي الأطراف، كما ورد في الرواية، فما بالك بكل ذخائر العلوم البشرية عبر تاريخ الإنسانية معزولة عن الإشارات الربانية؟

إن قمة كمالنا أن نعترف - بل أن ندرك - أن ما نملكه من المواهب والعلوم والمعاني بالقياس إلى ما يملكه آل رسول الله (عليهم السلام) هو كنسبة الواحد إلى اللامتناهي، بل كادت أن تكون كنسبة الصفر إلى اللامحدود، ولك أن (تتخيل) الفاصل الكبير بتخيل النسبة بين العلوم التي يملكها طفل رضيع بالقياس إلى أرسطو(٢).

وأرخميدس(٣)، وانشتاين(٤)، أو بالقياس إلى ابن سينا(٥)، والعلامة الحلي(٦)، والعلامة المجلسي(٧)!! ذلك كله، مع قطع النظر عن الظلام المشوب بالضياء، والضلال المختلط بالهدى، والأوهام المتزاوجة مع العلوم والمعارف، واللباب الضائع وسط القشور، وما هو (الجهل المركب) المتربع على كرسي المعرفة البشرية. ولنعد الآن(٨) إلى دراسة (حقيقة واحدة من حقائق العالم الآخر) على قدر ما يمكن لنا أن ندركه..

وإن كان الإدراك بدائياً جداً وصورياً أيضاً، كما يدرك الطفل من مجاهيل الرقائق الإلكترونية في الكمبيوتر! تلك الحقيقة هي تلك التي أضحت لافتة هذا المثال (حوض الكوثر)!

فـ(حوض الكوثر) وجرعة الشراب الطهور الذي يتناوله المؤمن من يد مولى الموحدين أمير المؤمنين (عليه السلام)(٩) هو بمنزلة الطاقة الجبارة التي تقوم بعملية تغيير جوهرية لذات الإنسانية لتختصر ملايين السنين الضرورية لتكامل الإنسان، في ثانية واحدة بل أقل! وحوض الكوثر يعد (البرزخ) الواصل بين إنسان الأمم وإنسان الغد، بين الإنسان المحمل بأثقال المادية وأدران العيوب، وبين الإنسان المطهر من أدناس الحياة الدنية. إن ذلك الشراب هو الذي يقوم بعملية (تصفية شاملة روحية وجسمية وعقلية) للإنسان، فيتحول إلى ذلك الملاك الطاهر، الذي (تأهل) لدخول جنان الله، وإلى تلك الروح المتجانسة مع ذلك النعيم والثواب الإلهي الكبير، فتمت عندها السخية بين هذا المخلوق الدارج في قوس الصعود وبين ذلك المقصد الأسمى الذي خلق له، فكان

١- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤ المجلس الأول.

٢- أرسطو طاليس: (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) فيلسوف يوناني.

٣- أرخميدس: (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م) عالم يوناني في الرياضيات.

٤- ألبرت اينشتاين: (١٨٧٩ - ١٩٥٥ م) عالم فيزياء أميركي وضع النظرية النسبية.

٥- أبو علي ابن سينا الشيخ الرئيس: (٩٨٠ - ١٠٣٧) فيلسوف وطبيب إسلامي شهير.

٦- الحسن بن مطهر الحلي (قده): (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ).

٧- العلامة محمد باقر المجلسي: (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ) صاحب موسوعة (بحار الأنوار) الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.

٨- كتبت ليلة ٤/رجب/١٤١٧ هـ ق.

٩- راجع بحار الأنوار: ج ٨ ب ٢٠ ص ٢٧ ح ٢٩.

عندئذ تلك الأرضية.. النقية التي تمهدت واستعدت وتهيات ليشملها (رضوان الله).. (وَرَضَوَانَّ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ) (١) بعد أن نزع (مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍّ) (٢) عبر شربة من ماء الكوثر (٣).

وإذا أردنا أن نرسم صورة أكثر دقة وشمولية لحوض الكوثر، نقول:

إن ذلك الشراب الطهور هو (المجلى الكبير للكمالات) والذي انطوت فيه بكافة أنحائها وألوانها وأقسامها وهو (الوجود الجمعي) و (المرتبة الوجودية العليا التي اندكت فيها مراتب الملذات والكمالات الجسمية والتخليقية والعقلية)

فشربة واحدة من (حوض الكوثر) تقفز بـ(عقل) الإنسان و (إدراكاته المعنوية) إلى (القمة السامقة) كما تمنحه شتى (الذائد الحسية والجسمية والنفسية).

فهي تلك العصاره المركزة أشد التركيز لكافة الملذات الموجودة، بل والمتصورة، بل وفوق المتصورة، للمبصرات والمسموعات والمذوقات والمشمومات والملموسات.

وهي تلك الوجود البسيط المختزل لكافة العلوم ولكافة مراتب القرب للحضرة الربوبية! ولكن هل يعقل ذلك؟ نستهل الإجابة بالإشارة إلى حادثة تاريخية.. فلسفية فريدة: فقد توجه جمع من الناس إلى واحد من أكبر فلاسفة ذلك الزمن، يتساءلون عن مدى صدق رجل ظهر وادعى أنه (رسول من رب العالمين)؟ أجاب الفيلسوف: لا بد لي من مشاهدته والتحدث معه كي أستطيع الحكم عليه..

وبالفعل شد الفيلسوف رحاله إلى حيث موسى بن عمران (عليه السلام) فلما وصل إليه سأله: أنت الذي تزعم إن علة العلل كلمك؟

أجاب نبي الله موسى (عليه السلام) (نعم)!

فقال له: كيف كلمك؟

فأجاب موسى (عليه السلام) (من كل الجهات وبكل الجهات)!!

عندها التفت الفيلسوف إلى قومه وقال لهم: أنه نبي من أنبياء الله حقاً حقاً فاتبعوه (٤)!

إن ذلك، المعنى السامي الموغل في العمق لا يمكن أن يصل إليه ويعبر عنه - وبهذه العبارة المختزلة أشد الاختزال - إلا نبي أو من اكتسب علومه من نبي..

لقد كان كلام الله عز وجل (من كل الجهات) محيطاً بموسى (عليه السلام) من الأمام والخلف واليمين واليسار، ومن كل الجهات الأخرى، ذلك أنه صادر من مجرد عن المادة والجهة، فهو لا يتحدد بهما، عكس الأصوات المادية التي تنطلق من جهة لتقطع مسافة معينة، متجهة إلى جهة خاصة.

وكان كلامه عز وجل بكل الجهات، فهو جامع لشتى العلوم والفنون والكمالات، عكس كلماتنا التي تعكس في تركيبها علم الطب دون الهندسة، أو الفلك دون الفلسفة، أو النحو دون الفيزياء، أما كلامه تعالى فهو في نفس

١- سورة التوبة: ٧٢.

٢- سورة الأعراف: ٤٣.

٣- راجع روايات حوض الكوثر، في كفاية الموحدين والبحار، و..، وكذلك راجع التفاسير في قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) وما أشبهه.

٤- راجع نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ١٠ ب ١٨٣ ص ٩٠.

الوقت كونه طياً هو في ذات اللحظة نحو وصرف وحكمة ورياضيات و..

و (حوض الكوثر) هو من هذا القبيل.

وكثير من الحقائق الأخرى يمكننا تفسيرها على ضوء ما ذكر: ففي الروايات أن النبي (صلى الله عليه آله) نقل علومه وودائعها إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عبر رشفة، من رحيق فمه المبارك، وكذلك كان كل إمام معصوم يفعل مع الإمام اللاحق قبل الوفاة بقليل، هذا بالإضافة إلى العلوم الدينية. ولكي يسهل (هضم) هذا المبحث كله على الفهم، لابد أن نذكر نظائر ذلك من حياتنا المعاصرة ومن علومنا الزمنية:

فشريط الكمبيوتر وحافظته (الهارديسك) يختزن ملايين الصفحات في مساحة تقل عن حجم الكف!! ثم هو ينقلها إلى كمبيوتر آخر في دولة أخرى في ثواني معدودة عبر، (فاكسات كمبيوترية متطورة)! وقبل ذلك، نجد كثيراً من الحيوانات، تتناقل معلوماتها عبر مواد كيميائية تنشرها في الفضاء أو عبر التلامس المباشر! فـ(النمل) مثلاً يتناقل المعلومات - عندما تشاهد نملة تصطك برأسها بنملة أخرى - عبر مادة كيميائية وإفراز كيميائي ينبعث من فمها.

بسم الله الأحد (١)

الرعب القاتل

في الزنزانة، وأنا لا أرى غير أربعة جدران قائمة تحيط بي من كل جانب، وخلال أشهر طويلة، وأنا أعيش.. حيث أمري بيد غيري، وحيث حتى الذهاب إلى دورة المياه بحاجة إلى الاستئذان من الحارس الذي لا يسمح لك بذلك إلا في فترات محدودة، تحديداً صارماً..

في ذلك السجن الانفرادي، وأنا أجهل تماماً مصيري..

ولا أعلم ما الذي يراد بي؟

وإلى أين تسير بي مقدراتي؟..

هنالك حيث لا يرى الإنسان أية حيلة، ولا يهتدي لسبيل نجاة، هنالك حيث يعتمد المحقق اتخاذ منهج الإجهال السلم.

هنالك.. وأنا أعيش، في أعماق ضميري، قلقاً متزايداً، كانت تنفجر بي أحياناً موجة الرعب تلك، الرعب من المجهول، والرعب المجهول أيضاً، فكثيراً ما كنت أجهل مصدر الرعب الخائق ذلك، فقد كنت مهياً نفسياً حتى للإعدام وكنت قد وُطنت نفسي، على الانعدام..

مع ذلك كنت أقفز أحياناً من المنام وقلبي يدق بعنف وأوصالي وأعضائي ترتعد والرعب يملأ نفسي ويملك على تفكيري، وليس هنالك من متنفس، أنت محروم حتى من رؤية عائلتك وأطفالك منذ ٣ ثم ٤، ثم ٥، و٦، و٧، و٨، و١٠ أشهر وأكثر!

عندئذ كنت الجأ إلى ظل ظليل، إلى ذلك الظل الوارف، إلى تلك الحقيقة - الرمز إلى تلك الكلمة - المفتاح،

مفتاح الطمأنينة، وسر الفلاح.. كنت الجأ إلى تكرار قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)(١).
ولا أبالغ إذا قلت إنني كنت أكررها حوالي العشرة مرات فقط وإذا ببرد الطمأنينة والأمن يغطي سحب اليأس والقلق، وإذا بي استعيد حيويتي وصلابتي من جديد، وكأنني خلقت للتو (أو دخلت الزنزانة للتو) وتلك إحدى تجاربي في المعتقل!
لا تستغرب - أخي الكريم - ذلك، فقد صرح صادق أهل البيت (عليهم السلام) في رواية معتبرة بأن من قرأ (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) مائة مرة يومياً دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء، أقلها الهم والغم(٢).
وإذا لم يكن هناك، أي تحول، ولم توجد أية قوة إلا بالله، فما يضرك و (هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)(٣) (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)(٤) وهو الذي (يَكُلُّ شَيْءٌ عِلِيمٌ)(٥) وهو (الرؤوف الرحيم)(٦).

المشاركة الوجدانية(٧)

مخلوقات الله، من الحيوانات والجن والملائكة والجمادات، تقوم بعملية (مشاركة وجدانية) لأفراد من البشرية ف(تفرح إذا فرحوا) و (تحزن إذا حزنوا) و (تدعوا الله أيضاً لهم) وتتوسط لديه في شؤونهم.
والعكس بالعكس تماماً، فهي (تلعن) الظالم والجائر والعاصي وتمدح وتذم وتقبج.
وإلى تلك الحقائق تنبه، الآيات والروايات الشريفة:
فعن سيد الساجدين (عليه السلام) بعد قوله (..) واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كل شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة، فإن قدرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعه، ولا تلحقنا فيه سامة) يقول (عليه السلام) (حتى ينصرف، عنا كتاب السينات بصحيفة خالية من ذكر سيناتنا، ويتولى كتاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا)(٨).
وفي الحديث: (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رفقا به، وتستغفر له حتى الحيتان في البحر)(٩).

١- الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٥ ح ٥ المجلس الثالث عشر. وثواب الأعمال ص ١٥٩ باب ثواب من رفع صوته بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وثواب الأعمال ص ١٦٢ - باب ثواب من قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- هامش المفاتيح في أدعية كل يوم وليلة.

٣- سورة الأنعام: ١٨.

٤- سورة الحديد: ٤.

٥- سورة البقرة: ٢٩.

٦- إشارة إلى قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ) سورة النور: ٢٠.

٧- ليلة ٩/رجب/١٧هـ ق.

٨- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء ٣٣.

٩- راجع بحار الأنوار ج ١ ص ١٦٤ ح ٢ ب ١ وفيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من سلك طريقاً

وفي النهج: (تصرخ من جور قضائه - أي من لم يعض على العلم بضرر قاطع - الدماء وتعج منه الموارد) (١).

البث التلفزيوني يوم القيامة (٢)

.. وما أقساها من عقوبة!

وما أعظمها من فضيحة!

وما أشقها على النفس، وأصعبها على الإنسان وإن لم يكن يمتلك حتى مثقال ذرة من حياة!
ففي يوم الحشر الأكبر، وبمشهد وبمحضر من ملائكة الله المقربين، والأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) والشهداء والصديقين، وبمرأى وبمسمع من الجن والإنس، والصديق والعدو، والقريب والبعيد، والأبوين والأولاد، والأكفاء و..

أمام كل أولئك، وقبل كل ذلك في محضر القدس الربوبي، تعرض صحائف مسيرة الإنسان لحظة بلحظة، ومشهداً بمشهد ولقطة بلقطة:

فهاهو، يختلس نظرة مسمومة إلى امرأة فاتنة.

وهاهو يكذب (كذبة بيضاء)!

وهاهو (يتهرب) من إعطاء الخمس والزكاة بـ(حيلة شرعية)!

وهاهو يأكل الربا أضعافاً مضاعفة، ويسدل على ذلك ستاراً من (علب الكبريت)!

كلا.. ليس ذلك فحسب بل يتجاوز (البث) ذلك، فأجهزة التصوير والرصد إلهية.. لقد التقطت حتى (خطرات القلب وومضات الفكر وعبث الخيال ومسارح الوهم)!

وهاهي تعرض كل ذلك، على رؤوس الأشهاد، من الأولين والآخرين، من الجنة والناس أجمعين...
هاهو صاحبنا يشهد ذاته في الزمن الغابر، في حياته الدنيا، في لحظة معينة مسجلة بدقة لا متناهية، وهو (يفكر) في (مداهنة الطاغية) وإن لم يترجم ذلك في حياته العملية!

وهاهو يجد نفسه وهو (يتخيل امرأة أجنبية) أو يراها وقد (همت) بهذه المعصية أو تلك!!

ويستمر العرض، وتتوالى المشاهد، وكل منا يتمنى أن لو ماددت به الأرض، أو هوت به الريح في مكان سحيق، أو أدركه (ملك الرحمة = عزرائيل) من جديد، ليكون نسياً منسياً، ولكي لا يشهد تلك المشاهد التي لا تصمد لفداحتها الجبال الرواسي، ولا تتحمل وطأتها أقوى النفوس شراسة، وأشدّها شكيمة..

ولو لم يكن من (العقاب الإلهي) إلا هذا، لكفى به واعظاً ونذيراً.

إن الواحد منا، الغني والفقير، الوزير والأمير، الوضيع والكبير، العالم والجاهل، بل وحتى الفاسق الفاجر،

يطلب فيه علماً سلك الله طريقاً به إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رفقا به وأنه ليستغفر

لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت..)

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ب ١٧ ص ٢٨٦.

٢- ليلة ٩/رجب/١٧٤١ هـ ق، في الزنزانة.

يحرص في هذه الحياة الدنيا على المحافظة على (ماء الوجه) أشد الحرص، ويبدل لأجل (تلميع الصورة وبهرجة السيرة) الكثير الكثير من الأموال والطاقات والجهود.

فـ(الحاكم) مثلاً (يسرق قوت الشعب) و (يصادر حقوقهم) و (يسحق حرياتهم) ويفعل ألف شيء وشيء تحت ستائر حريرية، وأقنعة مزوقة، وأغطية مزخرفة.

فهو: الأعرف بمصالح الأمة!

وهو القيم عليها!

وهو الأب الرحيم، الذي لا يفعل كل ذلك، إلا لأجل الجماهير!

والحريات هي مبعث الفوضى ومثار الاختلاف!

ولا حرية لأعداء الوطن!

وضرورات الأمن القومي تقتضي كل ذلك!

وهناك العدو الخارجي الذي يطرق الأبواب، وإعطاء الناس حقوقهم وتوفير الحرية للصحافة وفسح المجال (للتعددية الحزبية) و (فصل السلطات الأربع واستقلاليتها) كل ذلك مما يمهد الأرضية للعدو كي يكتسح البلاد ويستذل العباد!!

و (العالم) مثلاً (يتواضع) لـ(الغني)!. و (يراد) مجالس السلاطين فيحتج (بألف عذر وعذر) لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

وآخر (يسرق) بخفية و (يتآمر) على شريكه أو منافسه أو حتى أخيه، في مخطط محفوف بمنتهى التحفظ والكتمان.

وذلك (يغتاب، ويتهم، وينم، ويغرس بذور الخلاف والاختلاف) وأيضاً (يكاد يطير شوقاً ويذوب رغبة وحباً بالشهرة والرئاسة والاستعلاء وألف شيء وشيء) وهو بعد ذلك، كله (ظاهر الصلاح)! يهتف بـ(الورع والسادات) ويدعو (للتقوى والرشاد)!!

لماذا كل هذا العناء؟!

أليس الأفضل أن ندع التكلف جانباً، وإن (نسرق ونصادر الحقوق والأموال) بشجاعة!

وأن (نستبد) بصراحة!

وأن نفعل ونفعل ونفعل بمنتهى الوضوح رغم أنف الأعداء!!

.. إذا كنا نخشى أن (نفضح) عند صديق وأصدقاء، أو قريب وأقرباء، أو شريك وشركاء، أو جمهرة من الناس لا تزيد على أفضل الفروض على عدة مليارات من أفراد البشر، فلماذا لا نحذر أن (نفضح) - وعلى كل المستويات - في ذلك اليوم المصيري.. يوم القيامة وبمشهد من كافة مخلوقات الله من الأولين والآخرين؟!

ألا يكفي ذلك لنا رادعاً، وعن الخطايا مانعاً؟!

إن علينا أن (نلجأ) إلى الله تبارك وتعالى و (نستعِذ) به قبل كل شيء من ذلك..

يقول سيد الساجدين (عليه السلام): (إلهي سترت عليّ ذنوباً أنا إلى سترها يوم القيامة أحوج وقد أحسنت بي في الدنيا إذ لم تظهرها لعصاة من المسلمين، فلا تفضحني بها ذلك اليوم على رؤوس العالمين)(١).

ويقول (عليه السلام): (.. ولا تكشف عنا ستراً سترته على رؤوس الأشهاد يوم تبلو أخبار عبادك، إنك رحيم بمن دعاك ومستجيب لمن ناداك)(١).

ونقرأ في زيارة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من بعيد: (.. وأعوذ بكرم وجهك، أن تقيمني مقام الخزي والذل يوم تهتك فيه الأستار وتبدو فيه الأسرار والفضائح)(٢).

و: (.. اللهم ارحم موقفي في ذلك اليوم بموقفي في هذا اليوم، ولا تخزني في ذلك الموقف بما جنيت على نفسي..)(٣).

و: (اللهم إنني أعوذ بك من أن تفضحني في ذلك اليوم بين يدي الخلاق بجريرتي، أ، أن ألقى الخزي والندامة بخطيئتي، أو أن تظهر فيه سيئاتي على حسناتي، أو تفوه بين الخلاق باسمي يا كريم يا كريم، العفو، العفو، الستر الستر)(٤).

ولأن (تكريس) هذا المفهوم في النفس، وتذكر ذلك (المسرح العالمي) والتفكير في ذلك (المشهد الخالد)، يعد من أقوى دواعي الردع وأشد وأمضى طرق كف النفس عن هواها وكبح جماحها والسيطرة عليها..

لذلك، ولغيره أيضاً، نجد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قال: (من أراد أن لا يقفه الله يوم القيامة على قبيح أعماله ولا ينشر له ديوانه فليقرأ هذا الدعاء دبر كل صلاة)(٥):

(اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي، وإن رحمتك أوسع من ذنبي، اللهم إن كان ذنبي عندك عظيماً فعفوك أعظم من ذنبي، اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبليغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني وتسعني لأنها وسعت كل شيء، برحمتك يا أرحم الراحمين)(٦)+(٧).

إن (٨) ذكر (الله) و (التضرع إليه) و (الإلحاح في الابتغال والدعاء) هو مفتاح كل خير، فإذا كان الله هو القادر المطلق، وهو المصدر الأول والأخير لكل خير ونعمة، وهو الكريم الفياض الذي يقول:

(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)(٩).

و (إذا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)(١٠).

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٣٣.

٢- المفاتيح ص ٥٨٢، والإقبال: ص ٦٠٧، فصل في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعيد المكان.

٣- الإقبال: ص ٦٠٧.

٤- الإقبال: ص ٦٠٧.

٥- بحار الأنوار: ج ٨٣ ب ٣٨ ح ٤٤.

٦- راجع مصباح الكفعمي: ص ٢٠.

٧- كتبت هذا المبحث حتى هنا هذه الليلة وأمامي أخي الأصغر (السيد مهدي) حفظه الله، ونجاه وإيانا، وجميع المظلومين، وهو يعاني من حالة تشنج تصيب رقبته، وأجزاء أخرى من بدنه بين حين وآخر، وقد تركت بعض الثقل في لسانه، وإن كان بحمد الله قد تجاوز حالة الخطر التي مر بها قبل ثلاثة أيام.. والساعة الآن ١١/٣٠ مساءً.

٨- ليلة ١٠/رجب/١٤١٧هـ ق.

٩- سورة غافر: ٦٠.

إذا كان كل ذلك، فمن الطبيعي أن يكون تكرار هذا الدعاء محققاً لتلك الحاجة الأخروية الكبرى، أضف إلى أن هذا الدعاء يقوم بعملية شد المرء إلى الباري تعالى واجتذابه إليه أكثر فأكثر. كما يركز على المعاني العاطفية وتلك التي تعد إحدى تجليات صفات الله الجمالية، والتي تدغدغ في الإنسان وتحرك فيه كوامن المحبة الفطرية نحو أجلى مظهر لـ (الرحمة، والعفو، والمغفرة).. فإن الإنسان يعشق بغريزته (القادر - الرحيم، والقوي - الغفور) وهذا الدعاء يضرب على الوتر النفسي الحساس في الفرد، فيشده إلى الباري سبحانه أكثر فأكثر، وإذا به يتحول إلى (محب) للإله، وإذا بالله تعالى يكون عنده شيئاً فشيئاً (حبيب القلب) كما في الدعاء (يا حبيب قلوب الصادقين) (٢). وعندئذ، تتولى المحبة الصادقة ردع الإنسان عن كل ما يشين، وعن كل ما يوجب غضب المحبوب أو سخطه ومقتته.

تعصي الإله وأت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع (٣)

أضف إلى أن هذا الدعاء النبوي يتولى مهمة قمع، بل استئصال حالة (العجب والغرور والمباهاة) بالأعمال التي يقوم بها الإنسان، ويتصور أنه قد حقق الكثير، وقام بما يجب، وإن الجنة هي جزاؤه الطبيعي. كلا إذ (اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي) (٤) فـ (العمل) مهما بلغ فإنه تشوبه عادة حالة (الشرك الخفي) (٥)، من الرياء والسمعة والعجب و.. وإذا به (كِرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) (٦) وإذا به (كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) (٧)، وهنا نلجأ إلى الله من جديد ونقول (اللهم إن مغفرتك) لجلي المعاصي وخفيها (أرجى من عملي) فبالمغفرة الإلهية ينجو المرء من النيران وبها يتفضل بالجنان لا بـ (عمله) بما هو هو! ثم إن (أعمالنا الصالحة) مهما بلغت ليست بالتي تستطيع أن (تغسل) فداحة المعصية مهما صغرت تلك المعصية في الأعين، فإن فداحة المعصية، وعظم الجناية، تقاس بالنسبة إلى عظمة الله تعالى، وإلى ذلك المنعم الذي أفاض علينا نعماً لا متناهية كما وكيفا وجهة. وعلى ذلك فلو وقف الإنسان كل حياته لطاعة الرب، ثم عصاه معصية واحدة فقط، لما قامت كل عبادته وأطاعته تلك إزاء تلك المعصية وحدها! وهذا ما ينبه عليه الإمام السجاد (عليه السلام) حيث يقول: (إلهي، وكيف أدعوك وأتمنى الجنة مع أفعالي

١- سورة البقرة: ١٨٦.

٢- الإقبال: ص ٧٠٨ دعاء كميل.

٣- بحار الأنوار: ج ٧ ب ٢٤ ح ٢٦، عن الإمام الصادق (عليه السلام).

٤- مصباح الكفعمي: ص ٢٠.

٥- راجع كتاب: (معراج السعادة) و (جامع السعادات) للنراقيين، وكتاب (الفضيلة الإسلامية) للإمام الشيرازي (دام ظله).

٦- سورة إبراهيم: ١٨.

٧- سورة النور: ٣٩.

القبيحة، وكيف لا أدعوك ولا أتمنى الجنة مع أفعالك الجميلة)(١).

وقال (عليه السلام): (.. فأما العاصي أمرك، والمواقع نهيك، فلم تعاجله بنقمتك، لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإجابة إلى طاعتك، ولقد كان يستحق في أول ما هم بعصيانك كل ما أعددت لجميع خلقك من عقوبتك فجميع ما أخرت عنه من العذاب، أبطأت به عليه من سطوات النعمة والعقاب، ترك من حقك، ورضي بدون واجبك..)(٢).

أرأيت لو أن شخصاً نظر شزراً إلى أمه أو أبيه، لكان ذلك من أشنع الآثام عند ذوي الألباب، مع أنهما قد لا يعدان إلا وعاء سخره الله تعالى لحمل النطفة ثم لتربية الوليد!

فكيف بمن وهبنا (عَيْنَيْن * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)(٣)، وعقلاً وبصيرة..

وليس الواحد منا - ما دام سليم العقل، غير مضطرب في باب التزام - بمفرط بعينيه وحدهما، وإن بذلت له المليارات ونثرت على رأسه أطنان المجوهرات!؟

وهذا الدعاء يلفت - وبعبارة مضغوطة وموجزة أشد الإيجاز وذات دلالة واضحة مشرقة في نفس الوقت - إلى ذلك! فد(إن رحمتك أوسع من ذنبي)(٤)، فد(رحمته تعالى) وحدهما هي التي تغسل أدران الذنوب لا غير، (اللهم إن كان ذنبي عندك عظيماً فغفوك أعظم من ذنبي)(٥).

ثم يأتي التأكيد (.. اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني وتسعني لأنها وسعت كل شيء برحمتك يا أرحم الراحمين)(٦).

إن المعادلة في (الصفات الحقيقية ذات الإضافة)، هي وجود تناسب بين الطرفين وبين الوسيط، بين الفاعل والفعل والقابل، إلا أن الله أعلى وأجل من ذلك! فرغم أن (القابل) لا يستحق رحمة الله إلا أن (رحمته) تشمل القابل، بفضل الله ولطفه وعظمته.

وهنا نجد سيد الساجدين (عليه السلام) يقول:

(الهي كيف أدعوك وأنا أنا؟ وكيف أقطع رجائي منك وأنت أنت؟..)(٧).

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٢٠١.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٩٨.

٣- سورة البلد: ٩ و ٨.

٤- مصباح الكفعمي: ص ٢٠.

٥- مصباح الكفعمي: ص ٢٠.

٦- مصباح الكفعمي: ص ٢٠.

٧- مصباح الكفعمي: ص ٢٩٢.

هل نحن صادقون؟ (١)

زرت - وأنا في صحبة آية الله السيد العم دام ظلّه (٢) - إحدى الشخصيات المعروفة في داره التي كان قد اشتراها حديثاً بعد بحث طويل، فقد كان يبحث عن دار بمواصفات خاصة.

فقال لنا: إنني قرأت زيارة عاشوراء، ولمد ستة أشهر، وتحت السماء، مع تكرار اللعن مائة مرة والسلام كذلك، كل ذلك كي يسهل الله لي العثور على الدار التي أريد، فكان - والله الحمد - ما أردت!

قلت في نفسي: يا للعجب!

أحدنا يريد داراً!

أو يهدف منصباً..

أو يرجو زوجة وأولاداً..

أو يتوخى نجاحاً في امتحان أو أداء دين..

أو ألف حاجة وحاجة دنيوية أخرى، فإذا به يتضرع إلى الله تعالى ويبتهل إليه ويلج ويصر إلى حد الالتزام بزيارة عاشوراء - مع مائة لعن وسلام - لمدة ستة أشهر، ونحن مع ذلك ندعي إن (أمنيتنا الكبرى) هي (تعجيل فرج الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) وأن نكون من خلص خدمه وأنصاره والمستشاهدين بين يديه) - وما أعظمها من أمنية وأكبرها من سعادة خالدة - ثم لا يظهر ذلك على (ابتهالاتنا) و (توسلاتنا) و (دعواتنا) وعلى (تصرفاتنا وحركاتنا وسكناتنا) حتى بقدر ابتهالنا إلى الله تعالى في إحدى حاجاتنا الدنيوية الفانية!

.. فلا (الحرارة في الدعاء) ولا (الانقطاع) ولا (انكسار القلب والخطر) ولا (الإلحاح المتواصل) الذي نعهده في أنفسنا عندما تلم بنا مصيبة أو تنزل بنا فادحة أو تطحننا داهية كـ (مرض عضال، دين ثقيل، عدو شاك و..) لا نعهد من كل ذلك أثراً - بنفس الدرجة وبتلك النوعية - عندما نقف أمام هذه الحاجة الكبرى، الحاجة - الأمنية. كانت هذه الأفكار تراودني، وهذا الاستغراب يلزمني، وكنت - عموماً - أبتهل إلى الله تعالى كثيراً وألح في الدعاء كي يعجل فرج وليه الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وكي أكون - ومن يعنيني أمره - من خلص خدمه وأعوانه وأنصاره والمستشاهدين بين يديه، وكنت (من حيث لا أشعر) أحس بفرج كبير باعتباري مبرراً - والله الحمد - مما ابتلي به صاحبنا صاحب تلك الدار المباركة!..

كان ذلك، حتى سجنّت وطالت المدة وأنا أعاني من صنوف مختلفة من العذاب والحرمان والضغط و.. وإذا بي أجد نفسي بعد أشهر، وربما بعد أسابيع أدعو بحرارة كبيرة، وأبالغ في الإلحاح على الرب الكريم، وعلى المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) كي يتشفعوا إلى الله في إطلاق سراحي من السجن!.. وإذا بي ألتفت يوماً ما لأجد حرارة دعواتي لخلاصي لا تضارعها حرارة دعواتي لتعجيل فرج الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)!! وإذا بي أجد نفسي نسخة أخرى من ذلك الرجل الذي دعا الله ستة أشهر و بحرارة فائقة كي يرزقه الله داراً مريحة!!

١- ليلة الجمعة /ليلة ميلاد الإمام الجواد (عليه السلام) ١٠ رجب، ونحن لا نزال في الزنزانة والله المستعان.

بداية الكتابة ٧/٣٥ مساء ونهايتها ٨/١٥ مساء

٢- آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دامت بركاتاه).

كنت بعد ذلك أحاول القيام بعملية (إحياء نفسي مركزة) لكي أتغلب على هذه الحالة - المأساة. ومع ذلك وكثيراً ما - وعند نقطة ضعف وضغط معينة - كانت تنفجر بي الدعوات والابتهالات وبعق وصدق لكي يفرج الله عني!! ثم استدرك تعجيل فرج الإمام الحجة (عليه السلام) قبل ذلك!! ولكن أين تلك الحرارة وذلك العمق في الابتهاال؟

عند ذلك عرفت إحدى العلل في عدم استجابة دعواتنا بتعجيل فرج الإمام (عجل الله فرجه الشريف). وعرفت أن الله تعالى ومن هذه الجهة أيضاً إضافة إلى جهات أخرى، لا يجد فينا تلك (الخميرة الصالحة) و (الأنفس الوالهة) و (القلوب المتيمة) و (العقول الناضجة) المهيأة لـ (ظهور المنقذ الأعظم = أمل البشرية ورمز السعادة الدنيوية والأخروية). وإلى الله نشكو ضعف البصيرة وسوء السريرة والله المستعان.

بسم الله المنتقم الجبار (١)

اللهم العن أول ظالم ظلم..

روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: (من قال اللهم العن الجبت والطاغوت كل غداة مرة واحدة، كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحا عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة) (٢). ويقول الإمام الباقر (عليه السلام) متحدثاً عن زيارة عاشوراء: (من زار الإمام الحسين بهذه الزيارة كتب الله له مائة ألف درجة وكان كمن استشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وسيكتب له أيضاً ثواب زيارة كل الأنبياء والرسل وثواب زيارة من زار الإمام الحسين منذ يوم شهادته) (٣). وهذه الزيارة تفيض - إضافة إلى جانب التولي - بـ (اللعن) المركز أشد التركيز، والمكثف والعنيف أيضاً، و (البراءة) من أعداء آل البيت (عليهم السلام) بشكل متكرر ومتوال وبأشد لهجة وأعلى درجة: (.. فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، ولعن الله أمة قتلتمكم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، يا أبا عبد الله إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، إلى يوم القيامة، ولعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتنقبت لقتالكم..).

(.. يا أبا عبد الله إني أقرب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليك

١- ليلة السبت ولا نزال في الزنزاة العتيدة ليلة ١١/رجب/١٤١٧هـ ق.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٩، وهذا الحديث مذكور في قرب الإسناد، وفي الكافي للكليني بسندين، وفي الأمالي للطوسي، وفي الأمان من أخطار الأسفار، في مصباح الزائر لابن طاووس، وفي البحار، راجع تفاصيل السند في (الصحيفة السجادية الجامعة) تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) قم المقدسة.

٣- مفاتيح الجنان: زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء.

بموالاتك، وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممن أسس أساس الظلم والجور عليكم، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه بنيانه وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم، برنت إلى الله وإليكم منهم، وأتقرب إلى الله ثم إليكم بموالاتكم، وموالة وليكم، وبالبراءة من أعدائكم والناصبين لكم الحرب، وبالبراءة من أشياعهم وأتباعهم، إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وولي لمن والاكم وعدو لمن عاداكم..).

(اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد، اللعين ابن اللعين على لسانك ولسان نبيك (صلى الله عليه وآله) في كل موطن وموقف وقف فيه نبيك (صلى الله عليه وآله) اللهم العن أبا سفيان ومعاوية ويزيد بن معاوية عليهم منك اللعنة أبد الآبدين، وهذا يوم فرحت به آل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله عليه، اللهم فضاعف عليهم اللعن منك والعذاب الأليم، اللهم إني أتقرب إليك في هذا اليوم وفي موقفي هذا وأيام حياتي بالبراءة منهم واللعنة عليهم وبالموالة لنبيك وآل نبيك عليه وعليهم السلام).

ثم تقول مرة: (اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللهم العنهم جميعاً).

ثم تقول - بعد مائة سلام -: (اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وأبدأ به أولاً، ثم العن الثاني والثالث والرابع، والعن يزيد خامساً، والعن عبيد الله بن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلى يوم القيامة)(١).

ونجد تلك العبارات وعبارات أشد منها وأعنف بدرجات في زيارة عاشوراء غير المعروفة، وهذه إحدى العبارات:

(.. اللهم العنهم والعن من رضي بقولهم وفعلهم من أول وآخر لعناً كثيراً، وأصلهم حر نارك وأسكنهم جهنم وساعت مصيراً، وأوجب عليهم وعلى كل من شايعهم وبايعهم وتابعهم وساعدهم ورضي بفعلهم، وافتح لهم وعليهم وعلى كل من رضي بذلك لعنتك التي لعنت بها كل ظالم وكل غاصب وكل جاحد وكل كافر وكل مشرك وكل شيطان رجيم وكل جبار عنيد.. اللهم وضعف غضبك وسخطك وعذابك ونقمتك على أول ظالم ظلم أهل بيت نبيك، اللهم والعن جميع الظالمين لهم وانتقم منهم إنك ذو نعمة من المجرمين، اللهم والعن أول ظالم ظلم آل بيت محمد والعن أرواحهم وديارهم وقبورهم..)(٢).

ونجد أمثال هذه اللعنات لا في أحاد الروايات ولا في مستفيضها فقط، بل في متواتر الروايات والأدعية، وبأعلى درجات التواتر المعنوي والإجمالي(٣).

١- مصباح الكفعمي: ص ٤٨٥، ومصباح المتهجد: ص ٧٧٦، والبلد الأمين: ص ٢٧١.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٠ ب ٨٦ ص ٤١٤.

٣- فمثلاً راجع بحار الأنوار: ج ٥ ب ٣ ص ١١٣، وج ١٤ ب ٢٧ ص ٤١٢، ح ١ وج ٢٧ ب ١٠ ص ٢٢٦ ح ٢٣، وج ٣٣ الأبواب (٢ و ١٦ و ١٧)، وج ٤٥ ب ٣٧ ص ١٠٠ ح ٩٨.

تساؤلات

وربما تعتري الكثيرين حالة حيرة بل تعجب واستغراب، بل ومضات ريب وشك، وربما تطفح على ألسنة بعضهم تساؤلات، أو تنعكس عبر أقلامهم علامات استفهام حقيقي أو استنكاري: فهل يعقل ذلك؟ أهل يمكن أن يعطي الله لمن يقول كل يوم مرة واحدة: (اللهم العن الجبت والطاغوت)، سبعين ألف حسنة ويمحو عنه سبعين ألف سيئة ويرفع له سبعين ألف درجة (١)؟!

أهل يمكن أن يعطي الله لمن قرأ زيارة عاشوراء: مائة مليون درجة؟ وما معنى ذلك؟ وربما يزيد بعض (المتنورين)!! و (المتقنين)!! لماذا (نتعمد) شحن النفوس بـ(العداوة والبغضاء)؟ لماذا نزرع في ضمائر الناس (الإحن والحزازات) ثم نسقيها ونغذيها لتنفجر براكين ثائرة وتتحول إلى أعاصير هادرة؟

لماذا لا نحل (الألفة والرافة والأخوة والمحبة والصفاء) محل كل ذلك؟

لماذا نأجج أحقاداً تاريخية دفينّة؟

ولماذا لا (نتحد) ونكون يدأ واحدة على جحافل الأعداء، وجيوش الشرك والضلالة، والاستعمار والاستعباد؟ وإذا كانت تلك التساؤلات نابغة عن حيرة حقيقية وعن رغبة صادقة في (استكشاف الحقيقة) بالغاً ما بلغ الثمن، فإن (الأجوبة التالية) ستكون بإذنه تعالى كفيلة بالوصول بنا إلى ساحل المعرفة وشاطئ الأمن والإيمان بما حكم به الباري جل وعلا، وبما نطقت به رسل السماء، وبما يدركه (الوجدان) و (العقل) إذا لم يبق مضموراً تحت ستائر مظلمة من التعصب والعناد واللجاج والمصالح الشخصية!

وإذا لم يبق مصراً على (قالوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ) (٢)!!.

ولكي نحتكم إلى مقياس متفق عليه فإننا سنرجع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحكم العقل وشهادة الوجدان:

بادي ذي بدء نقول: هل في ذلك (تأجيج أحقاد تاريخية، وإثارة أحداث بالية هي بمعزل عن حياتنا الراهنة وعن مآسينا الحاضرة)؟ أم أنه (تحديد لـ(قادة الأمة) الحقيقيين، وتعريف بـ(الأسوة والقذوة) التي تطبع بصماتها على حياة الأمم على مر الأزمنة والأعصار)؟

هل في ذلك حديث ممل ومكرر عن (أشخاص من التاريخ الغابر، عاشوا فترة زمنية محددة، وماتوا بعدها، ومات معهم كل شيء) أم أنه حديث استراتيجي عن (منهج وفكر وسلوك، ومدرسة متكاملة، تجسدت في هذه الشخصية التاريخية أو تلك)؟

هل أولئك الأفراد أضحوا، مجرد أسطورة تاريخية، و (شخصيات محنطة في متاحف التاريخ ومجاهيله)، أم أنهم لا يزالون - عبر أقوالهم وسيرتهم - ملأ سمع الناس وأبصارهم وعقولهم، يعايشونهم في حياتهم الشخصية والعائلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها؟!

وهل كان القرآن الكريم مجانباً جادة الصواب - وأعوذ بالله حتى من مجرد التفكير في ذلك - عندما ركز

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٩.

٢- سورة الزخرف: ٢٢.

العدسات على (أنمة الضلال) و (أنمة الهدى والرشاد) وعندما صب لعناته الخالدة على فرعون (١) وقارون (٢) وهامان (٣) والسامري (٤) وقوم لوط (٥) وقوم هود (٦) وقوم صالح (٧) وقابيل (٨) ونظائرهم من قبل؟ لماذا ذكر الله (أبا لهب) في القرآن الكريم (٩)، وهو الكتاب السرمدى الذي جعله الله مناراً ومصباحاً لكل الشعوب والأمم على مر التاريخ، و (أبو لهب وامراته) لم يكونا إلا شخصين محددين بفترة زمنية خاصة ثم أكل الدهر عليه وشرب؟!!

ولماذا نجد القرآن الكريم يسلط الأضواء على قادة وكبراء وسادة معسكري الكفر والإيمان والهدى والضلال على مر التاريخ وبكثافة؟

ولماذا نجده - وهو الوسيط بين الرب والخلق - يقوم بعملية دمج لـ (الأشخاص والمناهج) وبعملية تعريف للمنهج عبر الأشخاص وللأشخاص عبر المناهج والربط بينهما؟

قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً..) (١٠).

وقال سبحانه: (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) (١١).

وقال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) (١٢).

١- سورة الأنفال: ٥٤، سورة غافر: ٤٦.

٢- سورة العنكبوت: ٣٩ و ٤٠.

٣- سورة العنكبوت: ٣٩ و ٤٠.

٤- سورة طه: ٩٧.

٥- سورة هود: ٨٢.

٦- سورة هود: ٦٠.

٧- سورة الأعراف: ٧٨.

٨- سورة المائدة: ٢٩.

٩- سورة المسد: ١.

١٠- سورة القصص: ٤.

١١- سورة العنكبوت: ٣٨ و ٣٩.

١٢- سورة القصص: ٧٦ - ٨٠.

وقال سبحانه: (كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (١).

وقال تعالى: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (٢).

وكذا في سورة مريم وغيرها من السور والآيات القرآنية الكثيرة.

إن (بلورة القيم الإنسانية ومعاني الخير والصلاح) في عقول الناس وأنفسهم وعواطفهم ومشاعرهم وضمائرهم وزوايا حياتهم وجوانبها، يتم ويتكامل عبر التركيز على مشاعل الهداية الذين تجسدت فيهم تلك المثل العليا والمعاني السامية، وإن استدراج الناس نحو مهاوي الباطل والضلال يتم عبر تسليط الأضواء على أبطال وهميين أو حقيقيين، تمثلت فيهم معاني الشر والضلال.

وإن (أسوة صالحة) واحدة تصنع أكثر مما يصنعه ألف كتاب وحكمة وعظة.

وإن (نموذجاً مثالياً فاضلاً) يقود الأمة أو الأمم نحو مدارج الكمال أكثر من عشرات الدراسات والبحوث والخطب!

وكان لذلك أن قرن الله تعالى الرسالة بالرسول، والكتاب بالأنبياء والأوصياء، وكان لا بد من (القرآن الناطق) إلى (جوار القرآن الصامت) كما قال مولى الموحدين عليه صلوات المصلين.

والعكس بالعكس تماماً.. فإن (عالمأ ضالاً) و (حاكماً جانراً) وفناناً فاسداً، يؤثر تأثيره الكبير وربما على حياة أمم على مر الأعصار..

وفي الحديث: (إذا فسد العالم فسد العالم).

ولذلك نجد في عالم اليوم ذلك السيل الجارف من الإعلام (٣)

وتلك المليارات من الأموال (٤) والتي تبذل لـ (صناعة أبطال) و (تحت شخصيات) و (مكيحة وجوه) لتسطع - في أعين جمهور البسطاء - شموساً مضيئة، وأقماراً منيرة، وأنجماً زاهرة في سماء السياسة، أو الفن والثقافة، أو حتى (عالم الإنسانية).

وبذلك، يسهل علينا تفسير تلك التعبئة الرهيبة التي يقوم بها الاستعمار الشرقي أو الغربي على مر التاريخ لتسليط مالا يحصى من العدسات والأضواء ولعقد منات المؤتمرات، وإقامة النصب التذكارية والتماثيل والصور اللامعة حتى على أوراق النقد وطوابع البريد ولكتابة مالا يعد من البحوث والدراسات عن شخصيات من أمثال: جمال عبد الناصر (٥) بطل القومية العربية!

١- سورة الشعراء: ١٧٦ و ١٧٧.

٢- سورة القصص: ٥ و ٦.

٣- كتب حتى هنا خلال حوالي ثلاث ساعات وربع الساعة من الليل نفسها.

٤- ليلة ١٢/رجب/١٤١٧ هـ ق.

٥- جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠م) رجل دولة مصري، ولد في أسيوط، ألف حركة الضباط التي قلبت الملك فاروق ١٩٥٢م، رئيس الجمهورية ١٩٥٨م حتى موته، وحكم بالإرهاب وملأ السجون بالأحرار وكان السبب الأول وراء هزيمة ١٩٦٧م.

وأتاتورك (١) بطل التقدم والعلمانية!
ومحمد رضا بهلوي (٢) بطل القفزة الحضارية!
ودارون (٣) بطل أصالة القرد وحالة البهيمية!
ولينين (٤) بطل الاشتراكية وحقوق الطبقة الكادحة!
ومحمد عبد الوهاب (٥) ومحمد علي الباب (٦) وكسروي (٧) والوردي (٨) ونظرانهم - بدرجة أو بأخرى - أبطال المذاهب الضالة والفرق المبتدعة.

بل إنهم بدأوا يحتنون للشعوب أبطالاً وشخصيات وقدوات من أمثال: هذه المرأة الفاتنة (٩) أو ذاك المطرب والموسيقي وغيرهم، من أبطال الأهواء والشهوات والملهي!
بل نجد أيادي الاستعمار تركز على إحياء شخصيات تاريخية، جانرة أو ضالة، وعلى إحياء (تواريخ، وأسماء، وأحداث) غير إسلامية أو غير وطنية (التاريخ الميلادي، والشاهنشاهی، والآرياني، والفرعوني، وأسماء بلاد أو أشخاص من الزمن الغابر، وبطولات وهمية لحكام بني أمية، وبني العباس، والعثمانيين، والساسانيين و..).

إن كل ذلك ما هو إلا عملية (عزل) ذكية وماهرة وحضارية لـ (الشعوب الساذجة الغافلة) عن كل ما يدفعها للتحرر والانطلاق وعن كل ما يشدها للوجه المشرق النقي الروحاني من تاريخها!
ولذلك أيضاً كان معاوية قد أمر بلعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على سبعين ألف منبر (١٠)!!

١- مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٨٣م) قائد تركي، ولد في سلاتيك، مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها ١٩٣٣م، غير كتابة التركية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني وسعي في القضاء على الإسلام.
٢- محمد رضا بهلوي (١٩١٩ - ١٩٨٠) شاه إيران عام ١٩٤١ خلفاً لأبيه رضا، ترك البلاد بعد ما ثار عليه الشعب عام ١٩٧٩ ومات في مصر. حكم بالجور والاستبداد.

٣- داروين تشارلس (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) إنكليزي، صاحب نظرية التطور في الأجناس الحية.
٤- فلاديمير لينين: (١٨٧٠ - ١٩٢٤م) زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب الشيوعي.
٥- محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢م) ولد في عيينة بنجد في المملكة العربية السعودية وفيها نشأ، أسس الوهابية بدعم مباشر من (الإنجليز)، أهم آثاره: (التوحيد) الذي يعتبر المرجع الأول لدراسة الوهابية وفهمها.

٦- محمد علي الباب (١٨١٩ - ١٨٥٠م) مؤسس البابية في إيران، زعم بادئ الأمر أنه (الباب) للإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، أعدم في تبريز، إيران.
٧- في إيران.

٨- في العراق.
٩- لقد بلغت أشرطه الغناء المبيعة لإحدى أشهر المغنيات الأميركيات، وقد توفيت قبل سنين عشرات الملايين وربما مناتها.

١٠- راجع نهج البلاغة شرح ابن أبي حديد: ج ١١ ب ٢٠٣ ص ٤٤، وج ١٣ ب ٢٨٣ ص ٢٣٠، وج ١٥ ب ٢٨ ص

ولذلك أيضاً كان التركيز الهائل جداً من رسول الله الأعظم (صلى الله عليه وآله) على شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومكانته الإلهية، في كل موطن وموقف ومناسبة! وبأرقى درجات التوجيه الإعلامي وأساليب الدعاية حتى إن إحدى تلك الأحداث التاريخية وهي حادثة الغدير وحديث الولاية، بلغ أعلى درجات التواتر (١) الذي لا نجد له نظيراً في الطريقة الدعائية الفريدة لصياغة الحدث طوال حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

ولذلك كله كان التركيز الكبير من خالق الكون على شخصية آدم أبي البشر (عليه السلام) ثم على شخصية النبي إبراهيم (عليه السلام)، ثم كانت البشارات التاريخية، الكبرى على ألسن كبار رسل الله على مر ألاف السنين بـ(نبي آخر الزمان) النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

ولذلك كله أيضاً كان ذلك الحشد الكبير من الأحاديث والروايات والكلمات الدالة تصريحاً وتلويحاً، وتفسيراً وتأويلًا، وباطناً وظاهراً على (الموقع الذي يحتله الأول والثاني في تاريخ الحركة الإسلامية، وعلى الدور الذي اضطلعوا به، وعلى الزلزال الذي أحدثاه في قلب عالم الرسالة، وعلى الثورة المعاكسة التي قادها لتحطيم حركة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في الصميم، وعلى منهج الظلم والجور والطغيان والاستبداد الذي أرسيا دعائمه، وعلى إحياء (الجاهلية) على أنقاض الدين الوليد (٢).

ولذلك، كانت اللعنات المتواترة عبر منات الروايات من الله والرسول والنبي الأعظم وأئمة آل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) على الجبوت والطاغوت..

على الأول والثاني..

على الذين حللا حرام الله، وحرما حلاله، وهدما بيت النبوة وردما باباه ونقضا أركانها (٣).

ولذلك كان (التبري) واجباً وفريضة إلهية كبرى من الذين أحيوا وجسدوا دور فرعون وهامان ونمرود وكافة الطغاة والجبابة على مر التاريخ.

ولذلك، كانت عملية (الفضح والتعرية) واجبة للذين أنعشا آمال أبي سفيان وأبي لهب، وحققا أهداف الجاهلية، وقادا بذكاء ثورة كثورة السامري على النبي موسى (عليه السلام).

إن الأول والثاني و (كذا الثالث وكذلك معاوية ويزيد..) لم يعودوا شخصين تاريخيين فحسب، بل إنهما كانا ولازلا تجسيدا حياً وممثلين أكفاء ونماذج استثنائية فريدة، لـ(الاستبداد) و (الأثرة) و (التمايز الطبقي) و

١- راجع (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله)، وكتاب (الأول مرة في تاريخ الإسلام) ج ٢ فصل في الولاية والإمامة للإمام الشيرازي (دام ظله).

٢- راجع المطاعن في بحار الأنوار وغيرها، وستأتي الإشارة إلى بعض المصادر في الصفحة القادمة.

٣- راجع دعاء صنمي قریش، وفيه: عن علي (عليه السلام): (اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قریش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنيهما اللذين خالفا أمرک وأنکرا وحیک وجحدا آلاءک وعظلا أحكامک وأبطلا فرائضک وألحدا في آياتک وعاديا أولیاءک ووالیا أعداءک وضربا بلادک وأفسدا عبادک، اللهم العنهما وأتباعهما وأولیاءهما وأشیاعهما ومحبيهما، فقد أضرمنا بیت النبوة وردما باباه ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه وعاليه بسافله وظاهره بباطنه واستأصلا أهله وأبادا أنصاره وقتلا أطفاله وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه وجحدا إمامته..). مصباح الكفعمي: ص ٥٥٢.

(الكذب والدجل والخداع) و (الجهل بأحكام الله) بل (تحريف أحكام الله) و (سفك الدماء) و (قتل الأنفس المحترمة) و (مصادرة الأموال) و (هدر الحقوق) و (التجسس) وقبل كل ذلك (محاولة إطفاء نور النبوة وغصب حق من عينه الله والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وتشريد شيعة آل البيت (عليهم السلام) وقتل رموزهم وقادتهم وأئمتهم)(١) و.. و..

وذلك أيضاً هو السر في قوله (عليه السلام): اشتد غضب الله(٢).

وهو السر أيضاً في مجيء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم القيامة بتلك الهيئة(٣).

وهو السر أيضاً فيما ذكره الإمام الجواد (عليه السلام) حيث شوهد وهو ينظر إلى السماء باكياً منتحباً، فعندما سأل قال (عليه السلام):

(أما والله لأخرجنهما ثم لأحرقنهما ثم لأسفنهما في اليم نسفاً)(٤).

وهو السر أيضاً في النعمة الإلهية التي ستحل بهما بأمر الله عبر خاتم الأوصياء الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) حيث أنه (عليه السلام) سينبش قبريهما ثم يصلبهما ثم يحرقهما حرقاً و..(٥).

ولكن لماذا (ثم يحرقهما حرقاً)؟ لماذا الإحراق؟

والى م يرمز؟

وعلى م يدل؟

.. إن عملية (الإحراق) هذه، هي إحراق ونسف لكل تلك الضلالات التي جسداها، ولتلك الفتن التي أضرمنا نارها، والضلالمات التي ورثناها.

أنها أولاً كل شيء إحراق لرمز وليس مجرد إحراق لجسد، إحراق لفكر شيطاني ومنهج جور وظلم، ومدرسة تحريف، وليس مجرد إحراق لهيكل مادي بال(٦).

وعندما نتوقف قليلاً لنفكر في السر الكامن وراء خلق إله الكون للنار وإحراقه المجرمين والجبابرة بنار جهنم، نستكشف أن (الإحراق) هو ذلك العقاب الإلهي العادل للعصاة والطغاة وإن ذلك هو ما شروه لأنفسهم في الحياة الدنيا، وربما يكون هو (الأثر الوضعي) والعقاب الرباني على إحراق باب دار فاطمة الزهراء (عليها السلام).

١- لمعرفة التفاصيل الشاملة مع براهينها الوافية، لكل تلك البنود راجع كتاب (المراجعات) و (النص والاجتهاد) للعلامة السيد شرف الدين (رحمه الله) و (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله) وكتاب (اليالي ببشاور) لسليمان الواعظين (رحمه الله)، وإن شئت التفصيل فراجع العباكات و..

٢- بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١٤ ب ٣ ح ٣٩، وج ٢٧ ص ٢٠٦ ب ٨ ح ١٤، وج ٣٩ ص ٣٠٨ ب ٨٧ ح ١٢٤، وج ٤٤ ص ٣١٩ ب ٣٧ ح ١.

٣- راجع بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٣٦ ب ١٧ ح ٢١، وج ٨ ص ٥٢ ب ٢١ ح ٥٩.

٤- دلائل الإمامة: ص ٢١٢.

٥- دلائل الإمامة: ص ٢٤٢.

٦- ليلة ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة ١٣/رجب/١٤١٧ هـ ق. ونحن لانزال في الزنزاة والله المستعان، وقد مضى على اعتقاله عام ١٥ يوماً، وعلى اعتقال الأخ السيد مهدي خمسة أشهر و ١١ يوماً.

وإذا عرفنا ذلك عرفنا القيمة الكبرى والدلالات الخالدة والضرورة المصيرية التي تدعو إلى تكرار (اللعن) و (التبري) كل يوم وتركيزهما في الأنفس، حتى تتحول إلى جزء لا ينفك من وجود الإنسان المؤمن وعقله وتفكيره وعواطفه وكوامن ذاته وإذا كان ذلك كذلك، عرفنا السبب الذي يكمن وراء تلك الرواية السجادية الرائعة: (من قال.. اللهم العن الجبت والطاغوت على كل غداة مرة واحدة كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحا عنه سبعين ألف سيئة، ورفع الله له سبعين ألف درجة) (١).

ونعرف السبب أيضاً وراء العشرات من الروايات الأخرى التي تشهد بأكبر المثوبة على (اللعن والتبري) وهان عندنا هضم وإدراك إن (زيارة عاشوراء) تسبب أن يمنح الله لقارئها مائة مليون درجة وإن الله سيكتب لزاره (عليه السلام) بهذه الزيارة ثواب زيارة جميع الرسل والأنبياء (عليهم السلام).
أو ليس الإمام الحسين (عليه السلام) تجسيداً أبدياً ورمزاً سرمدياً لكافة رسالات السماء؟
أو ليس السبط الشهيد (عليه السلام) عصارة لكافة القيم والفضائل والمثل التي نادى بها رسل الله على مر التاريخ؟

أو ليس (عليه السلام) أبا الأحرار، وقد ضحى بكافة ما يملك، وبأروع صورة، وبطريقة فريدة لم يشهد لها التاريخ البشري مثيلاً، أحياء للسنة وإماتة للبدعة وطلباً للإصلاح في أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢) فكان الإسلام به (حسيني البقاء) بعد إن كان (محمدي الوجود).

إن التبري من أعداء آل بيت الرسالة ولعنهم هو تبر من (أئمة الضلال) ومن (أسس أساس الظلم والجور) ومن (أعمالهم وأقوالهم ومناهجهم وسيرتهم وسلوكهم) - كما سبق - فلا يهولن القارئ الكريم بعدها ذلك الأجر العظيم الذي أعد الله للاعنهم والمتبري منهم.

أو ليس الله تعالى هو الذي لا تنفذ خزائنه (٣)؟
أو ليس جل وعلا قد أعد من الثواب الهائل على الكثير من الأعمال التي لا ترقى إلى مستوى (التولي) و (التبري) (٤)؟

أو ليس في الجنة (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٥)؟
أو ليس عطاء الله سبحانه وتعالى عطاء بغير حساب، وفضلاً لا يمكن لعقولنا المحدودة أن تدرك أبعاده وحدوده وأن تسبر أغواره؟

وإذا كان الله قد منح أحد أنبيائه عطاء وسمح له بـ (فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٦).
وعبارة (بغير حساب) صادرة عن الله الكبير المتعال اللامتناهي المطلق، تستوقفنا عندها كثيراً، فما بالك به

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ١٩.

٢- راجع بحار الأنوار: ج ٤٤ ب ٣٧ ح ٢. وصية الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أخيه محمد بن الحنفية.

٣- (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) سورة المنافقون: ٧.

٤- راجع كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق (رحمه الله) و (موسوعة الفقه ج ٩٤ - ٩٧) كتاب (الآداب والسنن) للإمام الشيرازي (دام ظله).

٥- راجع التهذيب: ج ٦ ب ١٦ ص ٢٢ ح ٧، ومن لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٩٥ ح ٩٠٥.

٦- سورة ص: ٣٩.

جل وعلا إذا أراد أن يثيب على (كلمة) نعم (كلمة) إلا إنها تعبر عن منهج، و (جملة) كجملة (اللهم العن الجبت والطاغوت) لكنها تكشف عن موقف استراتيجي يجعلك في معسكر الشيطان أو في جبهة الرحمان؟
إن هذه الكلمة ككلمة (لا إله إلا الله) التي هي (خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان)(١).
إنها المقياس الذي رسمه الله لنا.. وكل الصلاة والصيام والحج و.. في جانب، والالتزام بمحتوى هذه الجملة ونظائرها في جانب آخر، بل لا قيمة لتلك دون هذه.
أو ليس إبليس قد عبد الله آلاف السنين، ووعد الله أن يعبدته ألوفاً أخرى، لكنه هوى إلى الحضيض لمجرد أن (رفض) أمراً إلهياً بالسجود لآدم (عليه السلام) ولو ثانية واحدة!
إن التبيري من أعداء أئمة أهل البيت (عليه السلام) كالتبري من أعداء الرسول (صلى الله عليه وآله) وإن موالاته الأول والثاني والثالث، ومعاوية ويزيد كموالاته أبي سفيان وأبي لهب وهبار - ضارب زينب بنت النبي (صلى الله عليه وآله) وقتل سبطه.
وكما إن عبادة الله ولو لألف سنة لا تنفع ذرة واحدة إذا انطوى القلب على حب - أو قدر من حب - أعداء رسل الله، كذلك عبادة الله ولو ألف سنة لا تنفع إذا انعقد الضمير على محبة أعداء أوصياء رسل الله.
أو ليس (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)(٢) و: (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)(٣).
وألين علي (عليه السلام) هو نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) بشهادة آية المباهلة(٤) وغيرها؟ وأليس الله يرضى لرضى فاطمة ويسخط لسخطها(٥)؟
وأليست تلك اليد الأثيمة الخبيثة التي امتدت لتصفع بحقد لا نظير له، ذلك الوجه الطاهر لبضعة(٦) رسول رب العالمين(٧) والتي لا يزال دويها يملأ آفاق السماء ويطبق أجواء الأرض، ويغمد قلوب أولياء الله بأسى وحزن لا يحد ولا يوصف.

-
- ١- إشارة إلى قوله (عليه السلام): (ولا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان) راجع الإقبال ص ٢٤٤ فصل فيما ذكره مما يعتمد.
 - ٢- أعلام الوري: ص ١٥٩ الباب الثاني في ذكر النصوص الدالة على أنه الإمام بعد النبي بلا فصل، والفصول المختارة: ص ٩٧ فصل ومن كلام الشيخ أدام الله عزه سنل في مجلس الشريف.
 - ٣- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٩٤ فصل في ذكر مناقب شتى و أحاديث متفرقة.. وبشارة المصطفى: ص ١٠٨.
 - ٤- آية المباهلة من سورة آل عمران: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) سورة آل عمران: ٦١، راجع تفسير فرات الكوفي: ج ١ ص ٢٢ وتفسير البيان: ج ٢ ص ٨٤ وتفسير البرهان: ج ١ ص ٦٣٠ وتفسير شير: ج ١ ص ٥٧.
 - ٥- راجع الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٩٣.
 - ٦- راجع الاختصاص: ص ١٨٥، حديث فذك.
 - ٧- راجع أمالي الشيخ الصدوق: ١١٣، المجلس الرابع والعشرون.

ثم تلك العصرة الشرسة لابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الباب والجدار (١) حتى أسقطت محسنها (٢) وظلت تعاني من الجراح والآلام حتى توفاه الله إليه شهيدة راضية مرضية (٣) بعد خمسة وأربعين أو خمسة وسبعين أو تسعين يوماً من شهادة أبيها..
وأو ليست تلك الجرائم امتداداً تاريخياً لجريمة قتل قابيل هابيل (٤) ولقتل الجبابرة والطغاة أنبياء الله ورسله وأوصيائه على مر التاريخ حتى قتل النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالسم (٥).
وَألم يسجل الله تعالى في القرآن حادثة قتل قابيل هابيل ثم كثيراً من الأحداث الأخرى (٦)؟
لماذا؟

لكي نفرز بين معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، بين أئمة الهدى وأئمة الضلال، ولكي نتبرأ من هؤلاء ونلعنهم كما لعنهم الله ونتولى أولئك ونتخذهم أسوة كما أمرنا الله.
وإذا كانت هاتان القضيتان استراتيجيتين في منطق القرآن الكريم، فلماذا يصعب علينا هضم عظيم ما أعد الله على ذلك من الأجر؟

ولماذا (نجتهد) في قبال (النص) وندعو لـ(نسيان الماضي) و (إسدال الستار على جرائم أكبر طغاة شهدهم التاريخ) و (الاحتياط في لعن من لعنهم الله)؟
إن القرآن الكريم مشحون بـ(لعن) العصاة والطغاة والمجرمين والمردة والجبابرة وأئمة الضلال على مر التاريخ، وإن الكثير من الآيات ينطبق على الأول والثاني، بشهادة التاريخ ومتواتر الروايات وهذه نماذج سريعة.

قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) (٧).

(وَالَّذِينَ يَبْغِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (٨).

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (٩).
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ

١- راجع كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص ٨٦.

٢- المصدر السابق.

٣- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٩٢ المجلس السادس والعشرون، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٦٨، وكشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٠.

٤- راجع الخصال: ص ٣٩٨، ومعاني الأخبار: ص ٢٧٠، وكمال الدين: ص ٢١٣.

٥- راجع الكافي: ج ١ ص ٥٣٣ ح ١٣، وكتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ٢. للإمام الشيرازي.

٦- انظر سورة المائدة: ٢٥ - ٣٢.

٧- سورة القصص: ٤١ و ٤٢.

٨- سورة الرعد: ٢٥.

٩- سورة غافر: ٥٢.

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١).

(فِيمَا نَقَضِهِمْ - أي بني إسرائيل - مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) (٢).

(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ) (٣).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آثَرُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (٤).

(لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا..) (٥).

(قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (٦).

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٧).

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (٨).

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٩).

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (١٠).

(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا..) (١١).

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (١٢).

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى

١- سورة هود: ١٨ و ١٩.

٢- سورة المائدة: ١٣.

٣- سورة هود: ٥٩ و ٦٠.

٤- سورة النساء: ٤٧.

٥- سورة المائدة: ٧٨ - ٨٠.

٦- سورة الحجر: ٣٤ و ٣٥.

٧- سورة النور: ٢٣.

٨- سورة النساء: ٩٣.

٩- سورة البقرة: ١٦١.

١٠- سورة البقرة: ١٥٩.

١١- سورة آل عمران: ٨٦ - ٨٨.

١٢- سورة الأحزاب: ٦٠ - ٦٢.

أَبْصَارَهُمْ(١).

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً)(٢).

(وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآن)(٣).

هذه نماذج من الآيات القرآنية الكريمة ولنا أن نلاحظ:

أن بعض هذه الآيات (إخبار) بحلول اللعنة، وبعضها (إنشاء) وأمر بها، أو طلب لها أو تهديد بها. وبعضها (لعن الهي) تعلق بالأشخاص، وبعضها بالأمم وبعضها بأشخاص أو أمم غابرة، وبعضها بشخصيات معاصرة وبعضها بعناصر ستعيش في الأزمنة اللاحقة. واللعنة في بعضها دنيوية، وفي بعضها أخروية.

كما نلاحظ أن اللعنة الإلهية تحل بـ(الكافرين) و(الظالمين) و(الذين ينقضون عهد الله) و(ميثاقه) و(يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) و(يفسدون في الأرض) و(الذين يفترون على الله الكذب) و(يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً) والأئمة الذين (يدعون إلى النار) والذين (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) و(الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه) و(الذين يرمون المحصنات) و(من يقتل مؤمناً متعمداً) والذين (يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) و(المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) و(المرجفون) والذين (يقطعون الأرحام) والذين (يؤذون الله ورسوله) و.. و..

واللعنة حسب الآيات من الله، ومن الملائكة، والأنبياء والمرسلين، والناس أجمعين.

كما اعتبرت اللعنة - من الله ومن الملائكة والناس أجمعين - (جزاء إلهياً) لثلة من الناس.

وقد ذكر الله تعالى في بعض الآيات بعض آثار اللعنة الإلهية ونتائجها، حيث قال عز وجل: (فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)(٤).

كما صرح بأن لعنة الله التي تحل بـ(المنافقين) و(الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)(٥) و(الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)(٦) ليست لعنة استثنائية يتيمة بل هي (سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) وأضاف (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)(٧) فالمستقبل كالحاضر وهو كالماضي كلها مؤطر بإطار ومحكوم بحكم السنة الإلهية فما حكم من يتحدى إرادة الله ويعدل عن سنته في الحياة؟

وإذا كانت اللعنة الإلهية تحل بواحد ممن تميز بإحدى تلك الخصال أو الأعمال فما بالك بمن أصبح مجلى ومركزاً لأكثر تلك الموصفات؟

والأول والثاني والثالث ومعاوية ويزيد و.. تنطبق عليهم أكثر تلك الموصفات بشهادة التواريخ - من مصادر

١- سورة محمد: ٢٢ و ٢٣.

٢- سورة الأحزاب: ٥٧.

٣- سورة الإسراء: ٦٠.

٤- سورة محمد: ٢٣.

٥- سورة الأنفال: ٤٩.

٦- سورة الأحزاب: ٦٠.

٧- سورة الأحزاب: ٦٢.

العامّة والخاصّة - وبشهادة متواتر الروايات من طرق الخاصّة والعامّة أيضاً (١).

قال تعالى: (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (٢).

فهل نحن من اللاعنين؟

أم إننا من المعرضين؟

أم أننا أكثر حرصاً على (الوحدة) من الله؟

أم أننا أعرف وأخبر بـ(مصالح الأمة) من الله والملائكة والأنبياء (عليهم السلام)؟

أم أن علينا أن نزرع (المحبة والمودة والألفة) في كل مكان أراد الله منا أن نغضب حيث غضب، ونلعن حيث لعن ونتنقم كما أراد (٣)؟!

ولنا (٤) أن نرجع عدداً من التساؤلات السابقة على كثير من المعترضين، خاصة الذين رفعوا منهم راية معارضة الحكام الجائرين والطغاة المستبدين كجمال عبد الناصر والسادات والبكر وصادق وشاه إيران ونظائرهم، فلماذا لا (نتفق) مع الحكومة؟ أو لنسكت على الأقل ونقبع في زوايا بيوتنا؟

ولماذا نقوم بعملية (شق الصف) و (شحن قلوب الناس بالعداوة والبغضاء)؟

ولماذا لا نزرع (المحبة والألفة والأخوة) محل (الصراع والشجار والمواجهة)؟

لماذا نفارق (جماعة المسلمين)؟

وقبل كل ذلك لماذا نقوم بعملية (فضح وتشهير عالمية) وفي الأوساط الدولية وعلى مرأى ومسمع من المشركين والملحدين والصهاينة وكبراء معسكري الشرق والغرب، (فضح وتشهير) لمن؟ وفي الجهة الأخرى نجد عملية (مكيّة) رهيبية تجري في الظلام - بل وفي وضوح النهار - للطغاة والجبابرة حتى يظهروا في براءة الطفل وروعة الملائكة.

نعم (٥) هكذا وبهذه الصورة الرائعة والسيرة المشرقة، تظهر - وعلى شاشات التلفزيون وعبر أمواج الراديو وعلى صفحات الجرائد وفي ألف مكان ومكان - شخصية (الحاكم)، (الطاغوت)، (الصنم) وما أحبها من وسيلة، وما أمضاها من أسلحة بيد الطغاة لركوب الموج و (استعمار) الشعب و (استغلاله) ولكي يبقى الحاكم

١- لا بأس بذكر نماذج منتخبة بعناية من الروايات المتفق عليها أو ما هو مسلم تاريخياً، بعد خروجي من السجن إن شاء الله تعالى.

٢- البقرة: ١٥٩.

٣- إلى هنا كتب من نفس الليلة (ليلة ١٣ رجب) والساعة ١١. ٤٠ دقيقة مساء وقد كتبت هذا المبحث - وأسأتم في الكتابة حوله إن شاء الله تعالى - بقصد القرية إلى الله تعالى راجياً منه أن يتفضل علينا ببركة امتثالنا أمره في إظهار التبري واللعن، بإعطائنا حوائجنا نسأله أن يعطينا الله بدم الحسين (عليه السلام) كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله دنيا وأخرى ومن أحلى مصاديقه تعجيل فرج الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) وأن نكون من خلص خدمه وجنوده والمستشهرين بين يديه، وأن يطلق الله سراحنا ويجعلنا له دائماً من الشاكرين، ولأنعمه من الذاكرين و.. و..

٤- عصر ١٣/ رجب/ ١٤١٧ هـ ق.

٥- ليلة ١٤/ رجب/ ١٤١٧ هـ ق.

أولاً وأخيراً متربعا على كرسي السلطنة، متوجاً بتاج العظمة، وبيده الصولجان وإلى جانبه أحيانا مسبحة! وإذا كان (حكام هذا الزمن وطواغيت هذا العصر) على هذه الشاكلة، فلماذا نغتر بعدها بـ(أبواق) سلاطين الأزمنة الغابرة؟

كيف نطمئن إلى أقلام مرتزقة لـ(طغاة) حكموا ثلاثة أرباع البسيطة؟ كيف نركن إلى (علماء) أو (أشباه علماء) على أبواب السلاطين، تملأ أفواههم مدائح أسيادهم وفضائلهم؟ من بعد أن ملأت عقولهم الدنانير ومخيلتهم القصور وأحلامهم المناصب والولايات! كيف نستند إلى كلمات أمثال (أبي هريرة، أبي الدرداء، شريح القاضي)، وألف شخص وشخص في التسبيح بحمد الأول والثاني والثالث ومعاوية ويزيد؟

أو ليس التاريخ يعيد نفسه؟

أليست تلك سنة الله في الحياة؟

ألم يقل تعالى: (اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) (١)؟

ألا يوجد هناك ملايين من البسطاء المغترين بـ(الدعايات البراقة والإعلام المركز) و (عمليات غسل المخ) الرامية إلى (مكيحة وجود طواغيت هذا العصر)؟ فلماذا لا يكون طواغيت الزمن الغابر كذلك؟

ولماذا لا يكون بغضنا بالنسبة لهم كبغضنا بالنسبة لحكام اليوم؟!

إذا كان الشيطان يمتلك مصادد عديدة، وإذا كان باب (التدليس والتلبيس وعملية قلب الحقائق) مفتوحاً على مصراعيه أمام الطغاة ومرترقتهم لـ(تبرير) كل فجيرة أو جنائية أو ظلم أو جور أو سحق لحقوق الأمة أو تعدٍ يقوم به أولئك الجبابرة، فكيف تركنا بعدها إلى (أعداء) - لا يجدها العقل السليم إلا أوهم من بيت العنكبوت - استند إليها الفخر الرازي وأشباهه للدفاع عن الثلاثة.

ألم يقيم السادات (٢) بتبرير معاهدة كامب ديفد (الصلح - الخيانة) عبر تصويرها بمنظر خلاب؟ كيف؟

إنها معاهدة كصلح الحديبية تماماً وما أحرانا بالتأسي بالرسول (صلى الله عليه وآله)؟!

إذن علينا أن (ندرس) شخصيات الطواغيت، بل مطلق الحكام على ضوء العقل المجرد عن الهوى والتعصب والتقليد الأعمى وعلى ضوء أقلام المعارضة أمثال أبي ذر وسلمان وعمار والسيدة الزهراء (سلام الله عليها) من قبل والإمام علي (عليه السلام) أيضاً، والمنات من غيرهم من كبار الصحابة، لا على حسب قول أعوان السلطان وعملائهم.

لا أقل من الجمع والتفحص في أقوال الفريقين ثم اتخاذ قرار المدح أو الفضح!

وإذا سمحنا لأنفسنا بعدها بالتشهير بـ(السادات وصلحه، والشاه وعمالته، وصادم، وجرائمه) إحفاقاً للحق وإبطالاً للباطل وتصدياً للبدع وذوداً عن حياض الإسلام والمسلمين، فيجب أن لا يصعب علينا بعدها (التشهير)

١- سورة الذريات: ٥٣.

٢- أنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١م) ضابط مصري، رئيس الجمهورية ١٩٧٠ خلفاً لعبد الناصر، اغتيل عام

بالأول والثاني وغصبهما للخلافة وإزاحتها لمن نصبته السماء، وتعليهما على السيدة الزهراء (عليها السلام) وقتلها الأنفس المحترمة (كمالك بن نويرة و..)(١) والتلاعب بأحكام إلهية نزل بها الوحي على الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله) وأبلغها بدوره لكافة الأمة (كما قال عمر: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما)(٢) وكذلك تفضيله العرب على العجم في العطاء على خلاف الكتاب وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وعشرات من البنود الأخرى تجد بعض تفصيلها في كتاب (النص والاجتهاد) للعلامة شرف الدين (رحمة الله عليه) بل ومحاولتهما قتل الرسول الأعظم نفسه (في العقبة وغيرها)(٣) ثم تشفيهما من الرسول وآله (عليهم الصلاة والسلام)(٤).

ونضيف قائلين: إن كثير منا يتفجر غضباً عندما يسمع نماذج من (التعذيب) الرهيب الذي يمارس بحق الأحرار في سجون طغاة هذا العصر، ويتفجر غيظاً عندما يكتشف عمليات (الكذب والدجل والنفاق) المبرمجة ببراعة فائقة لاستغلال البسطاء، أو عندما يعرف ألواناً من (الفساد الأخلاقي) المستشري داخل أجنحة الطبقة الحاكمة، أو عندما يرى ثمة عدة ملايين من الفقراء التعساء الذين (أكل الحكام أقواتهم وصادروا حقوقهم) ليلذلوها بسخاء في حفلات الرقص الساهرة وعلى موائد القمار وللمطربين والمغنيين وأشباههم، أو ليينوا بها لأنفسهم قصوراً شاهقة، أو ليقوموا برحلات ترفيهية، (ضرورية جداً!) إلى مصانف أوروبا وغيرها. وحق لنا أن (نرفض) و (نحتج) و (نثور كالبراكين) لإزاحة أمثال هذه الجرائم والعنكب والافاعي والعقارب من مصاصي الدماء.

وإذا كان ذلك (حقاً طبيعياً فطرياً عقلائياً) لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، فإن الحق أيضاً - وقبل كل ذلك - أن نصب جام غضبنا على كل من (مهد الأرضية وشق الدرب وشرع السبل) لكل ذلك.. على من كان (الأب الروحي) و (القائد الميداني) أيضاً لكافة طغاة العصر.. على من بنيت على كتفيه حكومة بني أمية وبني العباس والعثمانيين بمآسيها وجرائمها التي يندى لها تاريخ البشرية، وتتشعر لها الجلود، وتجري بها عيون الأبهة دماً عبيطاً(٥). على من يعد - بصريح الروايات - المسؤول الأول والسبب الأول لكل (مظلمة وجريمة) كانت أو هي كائنة أو ستكون إلى يوم القيامة! ولذلك ورد في الحديث الشريف: (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)(٦). ولذلك قال تعالى: (وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ)(٧).

١- راجع نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ب ٣ خ ١٧٩.

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٨٢ فصل طرف من أخبار عمر بن الخطاب، وراجع صحيح مسلم كتاب الحج الحديث: (٢١٣٥ و ٢١٣٦ و ٢١٣٧) حسب ترقيم العالمية.

٣- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ٢.

٤- انظر رسالة عمر لمعاوية وأشباه ذلك.

٥- انظر كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) و (تلخيص تاريخ الإمبراطورية العثمانية) للإمام الشيرازي.

٦- راجع بحار الأنوار: ج ٧ ب ٥ ص ٩٢، وج ٧١ ب ٧٢ ص ٢٥٧ ج ١٤.

٧- سورة العنكبوت: ١٣.

ولذلك وصف الله تعالى: حكومة بني أمية بـ(الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآن)(١).

ولذلك أيضاً كان التركيز في زيارة عاشوراء:

(.. فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، ولعن الله أمة قتلتكم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برنت إلى الله وإليك منهم..)(٢).

فإن إزاحة أهل البيت (عليهم السلام) عن مراتبهم هي التي مهدت لتلك الجريمة النكراء التي اهتز لها عرش الله: قتل سبط الرسول الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين والخلص من أهل بيته وحوارييه (عليهم صلوات الله).

بسمه جل وعلا

لماذا (نهج البلاغة)(٣)

هتف الأستاذ مستنكراً: لماذا (نهج البلاغة)؟.

لماذا حمل أهم كتاب يفيض بالحيوية والثورية ورؤى الحياة عنوان (البلاغة)؟.

ثم صرخ محتجاً: ما أفدح ما ارتكبه الشريف الرضي (رحمه الله)(٤) عندما وضع هذه الالفة (الرجعية) على أهم كتاب ثوري، وعندما صب ذلك البركان المتفجر في إطار برجوازي!

ثم أضاف قائلًا: لقد جنى (الشريف الرضي) على علي (عليه السلام) عند ما قطع كلماته وخطبه وانتخب منها (البليغ) فحسب، تاركاً ما ليس بتلك المثابة من البلاغة، وإن كان يحمل ألف فكرة ورؤية وعبرة وعظة وبصيرة..

وقال: ما كان أجد بالكتاب بأن يحمل عنوان (نهج الكفاح)!

كان عمري أربعة عشر عاماً فقط، وكنت استمع إلى الأستاذ المعاصر في إحدى القاعات الدراسية بالكويت.. وظلت تدور كلماته في مخيلتي، وأنا أشعر بأن هنالك خطأ ما في التجني على الشريف الرضي (قدس سره) وإن لم أكن أدرك لصغر السن مكنم الخطأ.

.. وبعدها، في مدينة قم المقدسة، وذات يوم التمتع وميض، عندما كنت استمع إلى أحد العلماء الأدباء من أقربائنا، وهو يحدثني عن جولة كانت له في إحدى البلاد العربية، قال لي: التقيت بإستاذ جامعي مرموق، ذكر لي اسمه، وكنت أحضره في ندوة أدبية كانت تعقد في داره ليلياً، يحضرها كبار الأدباء من أساتذة الجامعات، وكانت ندوة ممتعة وحافلة وشيقة.. ودار الحديث وتشعب، حتى ذكر الأستاذ فلسفة مسيرته الأدبية، والسبب

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩ ص ٢١٨. وج ١٢ ص ١٨. والصراط المستقيم: ج ١ ص ١٩٦

الفصل ١٣. والآية ٦٠ من سورة الإسراء.

٢- كامل الزيارات: ١٧٥، زيارة عاشوراء، ومصباح الكفعمي ص ٨٢ الفصل الحادي والأربعون.

٣- عصر ١٤١٧/١٤ رجب/١٤١٧ هـ.ق.

٤- محمد بن الحسين (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ = ٩٧٠ - ١٠١٦ م) من كبار علماء الشيعة ومن كبار الأدباء والشعراء، ولد وتوفي ببغداد، نقيب الأشراف الطالبين، له ديوان، جمع (نهج البلاغة) وله (المجازات النبوية).

الذي دعاه لاختيار الأدب العربي، ودراسته حتى الحصول على الدكتوراه، ثم التفرغ لتدريسه في الجامعة، ولعقد الكثير من الندوات والمؤتمرات هنا وهناك..

قال: كان يورقتي (التعصب) الذي وجدته يغلف قلوب الكثيرين من أبناء إخواننا السنة، وكان يؤلمني الحظر - الرسمي أو العلمي - المفروض من قبل حكام بعض الدول العربية على أفكار الإمام علي (عليه السلام) ورواه ومسيرته ومنهجه وعلى بقية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وكنت أبحث عن مخلص، عن نافذة، عن بوابة، تفتح لي قلوب إخواننا المتعصبين وضمانهم، كي يدرسوا شخصية الإمام علي (عليه السلام) على الطبيعة وكما هو هو، وبدون أية علامات استفهام استنكاري على شكل (أحكام مسبقة) وبدون أية ملاحظات سياسية، أو مشاكسات اجتماعية..

وكان (الأدب) هو المدخل وكان (نهج البلاغة) هو البوابة!

وحقاً (١) .. كان أديبنا المعاصر موفقاً أكبر التوفيق في مسيرته الأدبية، التربوية، العقائدية.

ولقد تجلّى لي بعدها بوضوح: إن ما توصل إليه الأديب الغيور كان السيد الشريف الرضي (قدس سره) قد توصل إليه قبل ذلك بألف عام.

خاصة إذا لاحظنا التعصب الرهيب الذي كان يموج بالغالبية العظمى من الناس ذلك اليوم، والجو المشحون بالعداء، أو لا أقل بازدياد الشيعة بل وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهل كان يمكن أن نتحدث - آمناً على حياتك وعلى سمعتك على أحسن الفروض - عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) في شتى المجالس والمحافل وللخاصة والعامة على حد سواء؟

وكان (نهج البلاغة) هو الحل الأمثل، وكان هو المفتاح السحري، وكان هو البلمس الشافي، وكان للشريف الرضي (قدس سره) شرف ابتكار أحدث طريقة علمية في فن الإعلام والدعاية الهادفة.

لقد كان (الأدب) هو سيد ذلك الزمن وكانت (الفصاحة والبلاغة) موضوعة العصر، وكانت (اللوحات الأدبية) حديث الساعة وكان الأديب المثال السامي والأتوموذج الأعلى والروح السارية في ضمان الأمة، بل (الموجه والمربي) الأول لجماهير الناس بل وحتى لفظاحل العلماء.

وكان في براعة انتخاب (نهج البلاغة) ما يحقق كل تلك الأهداف مجتمعة، فأضحى النهج - دون منازع - حديث الساعة، وأضحت كلماته وحكمه المثال الأسمى والنموذج الأرقى والروح، وصار بما يملك من أفكار ورؤى.. المحور والمحك والمقياس والميزان.

وهكذا شق (نهج البلاغة) طريقة وسط براكين العداء، ورغم أمواج الحقد والبغضاء، برشاقة وبسرعة وبقوة أيضاً، فكانت (البلاغة) هي السفينة الناجية، التي حملت رؤى الحياة ومناهج الصلاح والكفاح كلها معها دفعة واحدة وسط التيارات والأمواج والأعاصير.

وكان للشريف الرضي (قدس سره) من حدة الذكاء وبراعة الأداء ما جعله - وعلى مر التاريخ - القمة السامقة في (جودة الانتخاب).

فقد تجلت عظمة روحه وأصاله تفكيره وصفاء نفسه في (دائرة معارف مصغرة وحقيقية) تعكس جوانب عديدة من حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأفكاره ومناهجه وبرامجه، وهكذا اتخذ البلاغة جسراً

يوصل عبره إلى قلوب الناس وعقولهم: جواهر وأزهار، بل رياضاً يانعة من ما نطق به أمير الكلام (عليه السلام) في مجالات العلم والعمل، والسياسة والإدارة، الأخلاق والآداب، التوحيد والنبوة والإمامة، الثورة والجهاد، الدولة والشعب، الخالق والخلق، العبادة والرياضة والسياحة، بل وحتى التاريخ وحتى استشراف آفاق المستقبل.

وكان انتخاب نماذج من كل حقل، دون استقرار وتدوين للكل أو للمعظم، ولید ضرورات الزمن، ونتيجة لعدم تيسر الاستتساخ والتصحيح والمقابلة والنشر، فكانت (الضخامة) على ضوء ذلك حاضرة دون سهولة عملية (الغزو) للكتاب الذي أريد له أن يقتحم أكبر عدد من القلوب والعقول، وأن يدخل كل بيت ودار ومدرسة.

إضافة إلى أن كثيراً من الناس يصعب عليه شراء أو مطالعة أو تداول الكتب ذات الحجم الكبير، فأضحى (نهج البلاغة) بهذا الحجم، أروع انتخاب، وكان في ذلك السبيل الأوسط جمعاً بين الحقين، فكان (النهج) في حجمه هو ثاني كتاب في سماء عالم الفكر والبلاغة، أي: بعد القرآن الكريم، وفي عوالم المعارف والعلوم والآداب والسنن وشتى مشارع الحياة؟

فكان بحق كما قيل (فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق) فكان (نهج البلاغة) الأثر الخالد والكتاب الأعجوبة للإمام علي (عليه السلام) بعد أن كان القرآن الكريم المعجزة الكبرى والخالدة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

وأؤكد بما يمكن لمخلوق - بعد الرسول - أن ينتج ويبدع.

وكان ذلك من أسباب (انتخاب) الشريف الرضي (قدس سره) لما انتخب، إذ ليست كل كلمات المعصومين (عليهم السلام) على نسق واحد، وفي درجة واحدة من الفصاحة والبلاغة وسمو المضمون، بل كان من الطبيعي أن يلاحظ الإمام (عليه السلام) - وهو سيد البلغاء والحكماء - مستويات الحاضرين والمستمعين وسائر الشرائط والعوارض..

فكان انتخاب الشريف الرضي (رحمه الله) للقامة من القمم والأروع من الروائع من كلمات الإمام (عليه السلام) هو السبب لأن يذعن العدو والصديق والبر والفاجر بأن (نهج البلاغة) كالأمير نفسه (ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير)(١).

وكان للسيد الشريف الرضي (رحمه الله) الشرف الكبير في الاضطلاع بـ(جمع وانتخاب وتدوين) ذلك الأثر المعجز، وذلك السفر الخالد، وكفاه ذلك فخراً وشرفاً وكرامة.

وبعد ذلك فليس من السهل أن يفتح أحدنا فمه بـ(نقد غير مدروس) وبـ(دعوى لا تستند إلى أدنى تحقيق حول الشروط الزمانية - الاجتماعية، المكتنفة بالإنجازات التاريخية الكبرى) وبـ(أقوال تجهل الفلسفة الكامنة وراء أي عمل جبار)!

وماذا يضير الشريف الرضي (قدس سره) كل ذلك، بعد أن خلد أسمه بأحرف من نور تتلألأ في ناصية التاريخ البشري، بل ماذا يضيره ذلك بعد أن قدم تلك الخدمة الكبرى لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وللإنسانية أيضاً على مر الأيام والأعوام وإلى يوم القيامة؟!

١- راجع معاني الأخبار: ص ٣٦٢، باب معاني خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام).

عند ما يحلق الخيال (١)

أبتاه..

في السجن.. تذكرتك!

في الزنزانة.. اكتشفتك.

في طامورة رطبة ضيقة سميكة الجدران، أفقد فيها أبسط مقومات الحياة.. أدركت عمق بهانك وجمالك.
وأنا أدور حول نفسي داخل تلك الحجرة - العذاب، تلمستك، تحسستك، في أعماق الضمير ومطاوي الوجدان،
بل ملأ القلب والفكر والعقل..

كنت أتخيل..

لا، بل كنت أرى رؤية تملأ جوانب وجودي، محياك الطاهر، ودعواتك الصالحة تشملني وتحيط بي، فتنزل
على جسمي المكدود وقلبي الكسير روحاً وراحة، وتملأ صحائف ذاتي بهجة ولذة وروحانية، أكاد معها أتمنى أن
أبقى في السجن.

وأبقى وأبقى..

وتبقى معي داعياً ضارعاً ومشجعاً.

أبتاه..

إن كنت قد فقدتني جسماً فانياً، فقد وجدتني روحاً سامية.

وإن كنت فارقتك سمعاً وبصراً، فقد تملكنتني فكراً وذكرأ.

أبتاه..

ما أشد شوقي إليك!، وما أحر لهفي عليك!

أبتاه..

يا لروعة المجد المتجسد في مطاوي كيائك!

ويا لعظمة السر المكنون في صحائف وجودك!

ويا لجمال الخلق السامي المتموج في شراشر ذاتك!

أبتاه..

يا نبع العواطف الإنسانية!

ويا فيض الكمالات الربانية!

ويا إشراقة الشمس في دياجير الغسق المظلم!

ويا حفيد الإمام الشهيد وسلالة المجد التليد!

إليك.. أقدم اضمامة عطر من رياض جنائك.

ومنك أسأل دعوة صالحة من أعماق كيائك.

ابنك: مرتضى(١).

أمي(٢)

في الزنزانة، وأنا أعاني آلام جراحي المتعددة، وقسوة الوحدة، وبرد الزمهرير..
وأنا أعيش قلقاً ورعباً متزايداً..
وأنا أتأرجح بين اليأس والرجاء..
أحس بجرح آخر من بقاع آخر.
ينزف دماً.
ويتأرجح ألماً.
جرح غائر في أعماق فوادي، لا يلبث أن يتفجر كالبركان ليغطي على كل جراحي الأخرى.
إنه ذكرى،
لا.. بل ذكريات،
كلا.. بل هي مسيرة حياة.
إنها رمز الحياة، رمز حياتي وهي تمر بالخيال.
إنها الرمز - الحقيقة..
إنها هي مجموعة فضائل متجسدة في امرأة مثالية.
إنها أمي.
إنها ذلك الملاك المتجسد في هيكل إنساني.
آه، آه..
.. يا أماه عندما أتذكر، تضحياتك.. فصبرك وصمتك..
عندما أتذكر صلاتك في جنح الليل وتهجرك، والكل نائمون..
عندما أتذكر زهدك في زخارف الدنيا..
وعندما أتذكر طيبتك ووداعتك.. وعندما أتذكر تواضعك وردك الإساءة بالإحسان.
وعندما.. وعندما..
وفي المقابل عندما أتذكر عظيم تقصيرنا في رد بعض الجميل، في أداء أقل حتى من جزء من مليار جزء من
حقوقك الكبرى علينا،
عندما أتذكر عدم تلبية لي بعض طلباتك وأوامرك بعذر أو بأخر..
عندما أتذكر عدم قيامي بخدمتك كما ينبغي..

١- علماً بأن هذه الرسالة بقيت في السجن مع المؤلف ولم ترسل.

٢- ليلة ٢٠/٢/١٤١٧ هـ ق، ليلة ميلاد السيدة الزهراء (عليها السلام). هذه الكلمات انطلقت من قلبي الحزين
وجرت على قلم أخي الوزين. (علماً بأن هذه الرسالة بقيت في السجن مع المؤلف ولم ترسل).

عندما أتذكر مرضك الأخير!

وعندما..

وعندما..

عندما أتذكر كل ذلك تكاد تميد بي الأرض، وأكاد أنوب خجلاً منك، بل أكاد يغشى علي أسى حزناً، تتصاغر معه كل جراحات السجن وآلامه، ولا أملك عندها إلا الأمل بحنانك وعطفك وعظيم حلمك، ولا أملك عندها إلا أن أدعو الله لك أن يحشرك مع فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ولا أملك عندها إلا أن أعاهد نفسي على أن أتقصد طوق عبوديتك مدى الحياة..

إلى أخي الأكبر (١)

الحمد لله كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وآله. سيدي الأخ الأكبر..

ها أنا ذا أبث إليك، بعد سنين طوال من شرف مصاحبتك والتلمذ على يديك، بعض ما كان - ولا يزال في تموجات تصاعدية - يخامر الفكر وينطوي عليه مكنون الضمير وتشهد له تجربة وضاعة وبصيرة نقادة: لقد لمست فيك بل أبصرت (٢) بل وجدت في جوهرة ذاتك المثالية عنواناً يحكي مسيرة واقعية، والتواضع الأخاذ ممتزجاً بسمو الذات، والتقوى والورع والزهد متزاوجة مع العمل والتحرك والانطلاق في شتى المجالات، والفكر رائداً والعمل ذانداً..

وحلاوة الحديث إطاراً لعقائل المعاني، وقوة البيان مسبوقة برباطة الجأش وقوة الجنان، والتعقل متناغماً مع التوكل والتوسل،

والرفق واللين موردأ ومصدرأ لما يستوجبه العزم المنبعث عن نفاذ قوة البصيرة وقوة اليقين. .. كلا.. أخي الأكبر.. ليس في تلك المرايا التي تعكس بأمانة وصدق حقيقة ذاتك الطاهرة مغز ولا في تلك المواصفات، فيما أعلم، شائبة مبالغة أو خلط بين ما هو كائن وما سيكون أو ما يجب أن يكون!. لقد شاهدت في ما شاهدت وكان علي أن أعرب عن بعض ما اكتشفت أداءً لبعض حقك، وشكراً لجانب من أفضالك (ومن لم يشكر المخلوق لن يشكر الخالق)(٣).

لقد تعهدتني بالتربية صغيراً وكنت لي أماً عطوفاً بل وأباً ثانياً كبيراً ولا أزال أستضيء - على قدر قابليتي - بأنوار إرشاداتك الساطعة، وما أحوجني إلى أن تتفضل علي - وباستمرار - بالتسديد والتوجيه وأنا واثق من أن التواضع الجم لا يحول دون عميم الفضل..

سيدي الأخ: لقد قذفت بك المقادير حيث قذفت، ولقد نالك من الأذى ما قد نالك، ولا أجد بلسماً لبعض جراحك

١- ليلة ١٦ رجب ١٤١٧هـ في الزنزاة، وهذه رسالة بقيت في السجن ولم ترسل.

٢- المراد: البصيرة لا البصر وإلا لما كان اللمس أسبق رتبة، بل أخرى بالتأخير في عالم الوجود المحلق في قوس الصعود متكاً على عصى معنوية جسدها كلمة (بل)!.

٣- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء ٥١.

أروع وأفضل وأوقع في القلب من حكمة جامعة ودعوة ضارعة لسيد الساجدين والإمام على الخلق أجمعين علي بن الحسين (عليه السلام):

(اللهم لك الحمد على حسن قضائك، وربما صرفت عني من بلائك، فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجلت لي من عافيتك؛ فأكون قد شقيت بما أحببت، وسعدت غيري بما كرهت. وإن يكن ما ظللت فيه أو بت فيه من هذه العافية بين يدي بلاء لا ينقطع، ووزر لا يرتفع؛ فقدم لي ما أخرت، وأخر عني ما قدمت، فغير كثير ما عاقبته الفناء، وغير قليل ما عاقبته البقاء، وصلى الله على محمد وآله)(١).

ولا يفوتني - ختاماً - عن أن أسأل عن صحة من المكتوب إليه أخ لابن جد هم! أو أخ لابن أب عمهم!، أو من الكاتب، أب لأبناء عمهم وهذا من (لها منها عليها شواهد!) وهذان السطران - العجيبان وليدا أرقاماً بعد الساعة ١٢ مساءً فلا تذهلنك (الطفرة المستحيلة من الرزانة إلى الرطانة!) ولا يهولنك نسف القواعد العقلية في التجانس والسنخية وعدم إمكان صدور الضدين من واحد دفعة أو دفعتين!.. والسلام على من كف فكاهة وفك كفه.

مرتضى

كلمة الله هي العليا (٢)

يبدو أن علي أن اعتبر هذا المبحث مقالة مستقلة لا تدرج ضمن الكتاب عن السيدة نرجس سلام الله عليها(٣) (وعلي أن أضيف له الكثير وأشذبه على هذا الأساس، إذ كنت قد فكرت في مقدمة موجزة من أسطر تكون مقدمة للمقدمة عن السيدة عليها السلام، وأفرع عليها إن السيدة صلوات الله عليها انتصرت وكانت كلمتها العليا في منطق الواقع..).

إلا أن البحث بما له من سعة وعمق جرجرني فصارت صفحتين مضغوطتين لا تصلحان للمقدمة من جهة، وبحاجة إلى توضيح أكثر وأمثلة وتفصيل لتصلح كمقال مستقل.

(كلمة الله) هي دعوته ومناهجه وبرامجه و (هندسته التشريعية) للحياة(٤).

(هي العليا) وليس لغيرها أية درجة من (العلو) و (السمو).

إذ ليس غيرها (عالياً وسامياً بأية مرتبة من المراتب) فهي العليا بما للكلمة من معنى وبكافة دلالاتها، وغيرها هي (الكلمة السفلى).

ولكن ماذا يعني ذلك؟

وكيف؟

١- الصحيفة السجادية الجامعة: الدعاء رقم ٥١.

٢- ليلة الخميس ٨/شعبان/١٧٤١ هـ ق.

٣- كتاب (السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال) للسيد المؤلف يقع في ٢٦٤ صفحة من الحجم الرقعي وهو من تأليفاته في السجن وقد طبع مرتين عام ١٧٤١ هـ، يطلب الكتاب من (مكتبة جنان الغدير) في الكويت.

٤- هذا تفسير بالمصداق كما لا يخفى.

إن مما لا شك فيه أن (هندسة الله التكوينية) و (كلمته الإبداعية) هي القاهرة، فإذا قال لشيء: كن كان (١)، وبانقطاع الفيض لحظة يصبح في خبر كان!

والكل خاضع - شاء أم أبى - لسلسلة القوانين التكوينية التي تلف دوائر الموجودات كلها. ولكن كيف تكون (الكلمة التشريعية) التي يجسدها كتاب الله وكلمات المعصومين عليهم السلام هي العليا؟ إن (التشريع) يهدف إلى إرساء دعائم السعادة والتكامل الروحي والفكري حتى الجسمي أيضاً، للفرد والأسرة والشعب والبشرية جمعاء، على مر الأزمان والأحقاب، التشريعات التي تحقق هذه الأهداف مجتمعة هي (العليا)، وليست تلك إلا (كلمة الله ومجموعة تشريعاته السماوية متجسداً في القرآن الكريم، وعترته النبي العظيم عليهم صلوات المصلين).

وليس (الانتصارات) التي تحققها بعض المذاهب الأخرى في الوصول إلى بعض تلك الأهداف إلا (انتصارات وهمية) عادة و (سراباً كاذباً) يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده (٢). هذا أولاً.

وثانياً إن (ما كان منها حقيقياً) فإنه وليد استلهام مباشر أو غير مباشر من (كلمة الله) ونتيجة لـ(تموجات) كلمة الله على ثقافة وأفكار وأقلام حملة المذاهب الأخرى.

وثالثاً: إننا نلاحظ أن (الحقيقي من تلك الانتصارات) هو انتصار في حد ذاته وفي مدلوله المطابقي، ولكنه هزيمة ساحقة في مدلوله الالتزامي أو في ضمن الإطار العام، وفي مدار المعادلة الكلية، وذلك كمن يفلح في استئصال غدة من جسد مريض بعملية تؤدي بحياء المريض نفسه! والعكس بالعكس تماماً..

ربما نشهد (هزيمة) (٣) لولي من أولياء الله الصالحين، في الإطار المادي الفردي المحدود، إلا إنها انتصار كبير في الإطار الاجتماعي العام، وفي الإطار المعنوي.. الفردي، كذلك والآخرى وحتى الدنيوي أيضاً، وربما يكون هذا مما يفسر قوله تعالى أيضاً: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي) (٤).

وكلمة الله (هي العليا) بالمعنى الحقيقي للكلمة، إذا لوحظت (كمجموع)، و (هي العليا) بشكل نسبي - وإن كان ساحقاً - إذا لوحظت (كجميع) (٥).

والإطلاق والقرائن المقامية تشهد بأن هذه الغلبة في الآية الشريفة، ليست متحددة في الدار الآخرة فحسب، بل إنها غلبة في الدار الدنيا أيضاً، ولا يمكن صرفها إلى الغلبة الكونية والقهر الغيبي الإلهي فحسب، للإطلاق والقرائن، ولأنها أيضاً بديهية لا تحتاج إلى التأكيد، ثم لا تساعد عطف (ورسلي) على الله، إذ لم تكن غلبة

١- إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) سورة النحل: ٤٠.

٢- إشارة إلى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَةً..) سورة النور: ٣٩.

٣- إن صح التعبير.

٤- سورة المجادلة: ٢١.

٥- بل كلمة الله هي العليا في البعد التكويني والتشريعي حقيقية مطلقة، أما في البعد التكويني فواضح، وأما في البعد التشريعي فلأن المراد بالعلو فيه العلو من حيث الصلاحية والمصلحة ومطابقة الحكمة.

الرسائل في كثير من الأحيان تكوينية، بل كانت الغلبة الدائمة هي التشريعية، فتأمل.
ويمكن على ضوء ذلك أن نعرف معنى النصر والهزيمة في منطق القرآن الكريم.
فـ(النصر) ليس أن تبقى حياً، أو أن تهزم جيش العدو في سوح الوغى، بل هو: أن تقدم أكبر ما يمكن أن تقدمه للهدف الأسمى والمقصد الأعلى سواء كان عبر (أن تقتل) أو عبر (أن تقتل) وعلى ضوء ذلك يفهم قول الشاعر:

زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيـدا
إن النصر هو أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتفضح الحاكم الجائر، وتطلب الإصلاح، وأن تتحرر من سلطان الشهوات والنفس والشیطان والطواغيت.. وإن أودعوك في قعر السجون وظلم المطامير!

وهذان نموذجان من الكتابات الفارسية

ميز كرد مصطفی(۱).
فرزند ارشدم.. مصطفی جان..
پس از عرض سلام و آرزوی موفقیت هر چه بیشتر.
شنیدم مدتی است به درس و بحث فوق العاده علاقمند شدی، نمی‌دانی که چقدر خوشحال شدم، باز شنیدم که عهده دار مسئولیت اداره و تربیت و توجیه، برادر و خواهرهایت شدی، شاید نتوانی تصور کنی که چقدر از این خرسندم.

همکنون، من در کنج زندان، دعایت می‌کنم، و واقعاً از صمیم قلب از تو راضی هستم. باز شنیدم که عموی خوب و نازنینت سید محمد حسین خیلی در درسهایش جدی شده.. شنیده‌ام تو و عمویت، عموی گلت به آغا جان و مامه خیلی رسیدگی می‌کنید.

آفرین

صد آفرین

به برادر گرامی‌ام، و به پسر ارشدم، سید محمد حسین جان، سید مصطفی خان، نمی‌دانم سوره‌های آخر قرآن را حفظ می‌کنید؟

کلمات قصار (نهج البلاغة) را از بهر می‌کنید؟ یا نه؟

باز نمی‌دانم نماز شب می‌خوانید یا نه؟

باز نمی‌دانم چه احساسی دارید شما در این روزها و ماهها و سالها؟

این سالها سالهای نوجوانی شما است، به عربی به این سالها می‌گویند (سنین المراهقة)، در این سنین تحولات روحی و روانی و فکری گوناگونی در نوجوان به وجود می‌آید، حتماً در این سالها نیاز به راهنما دارید، حتماً شما دوتا - با (صالح) گل، گاه گاهی و گاهی تنهائی - خدمت حاج آقا عمو، که متأسفانه هیچکدامان قدرشان را نمی‌دانیم، بپرسید و از ایشان درخواست راهنمایی بکنید.

۱- عصر ۲۳/۲/۱۴۱۷ هـ.ق، قد کتبها السيد المؤلف بالفارسية من دون أن تصل إلى يد ولده.

ضمناً حتماً از مادرت، (چه مادر خوب و فهمیده‌ای داری، آقا مصطفی قدرش را بدان)، راهنمایی طلب کن، حرفهایشان را همیشه گوش، بلکه آویزه گوش کن، از عمه‌هایتان شما دوتا غنچه گل محمدی و شاخه بوستان احمدی بخواهید که همیشه راهنما و یاور شما باشند در مسائل معنوی.. خانوادگی و در چگونگی دست و پنجه نرم کردن با مشکلات زندگی.

البته جناب مستطاب برادر گرامی ام ثقة الإسلام آقای مشهدی (چون به حج نرفته، فقط مشهد مشرف شده است) سید محمد علی الحسینی الحجازی الأصل، الشیرازی الفصل، الکویتی المولد، القمی المسکن، والکربلائی الجوهري، ایشان نیز می‌توانند نقش خوبی در راهنمایی فکری - عملی شما داشته باشند.

خوب از همه چیز گفتم، به جز از میز گرد مصطفی!!، می‌دانی معنی میزگرد را حتماً، آن روزها که درمیانتان بودم گه گداری میز گرد خانوادگی تشکیل می‌دادیم چه خوب بود، چه آموزنده، چه روحانی، چه باصفا، چه با مزه.. به عربی به میزگرد خانوادگی می‌گویند (المؤتمر العائلي) حتماً تشکیلش بده. آره پنج دقیقه در روز کافیه..

مشکلات روزمره را مطرح کنید، گاهی وگاهی، مباحث اخلاقی - فرهنگی، خوب به هر کسی هم وقت دهید که نظرش را ظرف يك دقیقه مثلاً ابراز کند، ضمناً هر چهار جلسه یکی از شما رئیس بشه، مادر گرامیتان نیز ناظر جلسه، من هم دعاگو، دیگران هم ثناگو!!.

اما بحثها، مثلاً يك روز مطرح کنید: چطور میشه و چکار کنیم که، در درسهایمان همیشه ۲۰ بگیریم؟

روز دیگر: چطور می‌توانیم آقا جان، وبی‌بی، وبی‌بی شماره دو، ومامه را شاد کنیم.

روز سوم: چطور می‌توانیم کمتر دعوا کنیم، یا اصلاً دعوا نکنیم؟

روز چهارم: بچه خوب کیه؟

روز پنجم: خودتان بلدید دیگه..

وهكذا..

وهكذا..

وهكذا..

وهكذا..

وهكذا..

وهكذا..

مطالب زیاد است، خودتان فکر کنید، مگه شما نابغه نیستید؟ اگر نیستید حتماً سعی کنید بشوید إن شاء الله.

مقاله علمی تخیلی (۱)

درخشنده تراز ملیارد خورشید

هدیه به آخرین برادر، وبه اولین فرزندم، محمد حسین و مصطفی، وبه خواهر زاده‌ام محمد جعفر.

پرفسور محمد حسین، در کنار روان شناس برجسته مصطفی، به همراه فیزیک و شیمی دان قرن محمد جعفر، وارد اطاقکی می‌شوند که ترکیبی است از اشعه ما وراء بنفش + ایکس + لایزر مایزر + اشعه‌ای به رنگ ارغوانی + تشعشعات ناشناخته شده فضائی، لحظاتی بعد، بر اثر یک سری فعل و انفعالات فوق تصور بشری، جسد هر سه دانشمند به پرتوهائی از نور سبز مبدل می‌شود، و اینک عقربه‌های زمان عدد صفر را نشان می‌دهد، سه نور سبز قدرت ناشناخته شده عظیمی در خود احساس می‌کنند، ناگهان خود را مجرد از زمان و مکان می‌بینند، در وجود آنها، احساس ترسی مبهم، لذتی بی‌انتهاء بهم آمیخته می‌شود.

کل جهان، همه کهکشانها، ستاره‌هائی که کاترلیونها (۱) سال نوری با ما فاصله دارد، همه و همه در دستریشان قرار می‌گیرد..

همه چیز شگفت انگیز، جهانی است سحر انگیز، دلربا، از حفره‌های سیاه فضائی گرفته تا آدمهای فضائی، و امواج مغناطیسی و..

سه نور سبز احساس غروری ناگهانی در خود می‌کنند، لحظاتی بعد متوجه مهیب‌ترین و شگفت انگیزترین حقیقتی که کل جهان هستی را فرا گرفته است می‌شوند.

نوری درخشنده تراز میلیاردها خورشید به دیوار کعبه تکیه داده..

و جمعی از بهترین یارانش با صدای.. نوائی محزون اما بسیار رسا و محکم ندا می‌دهند، (یا لثارات الحسین.. یا لثارات الحسین).

به امید آن روز.